

DAMAGE BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190229

UNIVERSAL
LIBRARY

كتاب
تفاح الطيب

في

الحظائر الطيبة

أثر

معروف الرصافي

منتفك مبعوث

—

طبع بمطبعة الاوقاف الانسلا
بدار الخلافة العلية

١٣٣٦-١٣٣٧

كتاب نفج الطيب في الخطابة والخطيب



تأليف

معلم الخطابة العربية في مدرسة الواعظين
بدار الخلافة العلية مبعوث المتفك

معروف الرصافي



الطبعة الاولى

طبع بمطبعة الاوقاف الاسلاميه
بدار الخلافة العلية

١٣٣٦-١٩١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمد لله وثناء عليه وصلاة وتسليما على محمد رسوله وحبه وعلى
آله وصحبه وجنده وحزبه

وبعد فقد قرأت كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ونظرت فيه
بامعان فوجدت فيه من فنون البيان ما يفتق اللسان ويحلب الجنان
الا انه احتوى على الفث والسمين وجاء بالبخس والتمين فكم وجدت
فيه من درة الى جنبها خزفة ومن جملة مقرونة بحصاة ومن تذور
ذهب يتخللها مخشلب وكثيرا ما يخرج في كلامه عن الصدق فينبأ
يتكلم عن شيء اذ تركه قبل التمام وخرج منه الى شيء آخر
لا يقتضيه المقام . وطالما وعد بذكر اشياء ثم لم يذكرها وذكر اشياء وهو
لم يعد بها واتقد خيل لي ان الجاحظ عند تأليف هذا الكتاب كان يأخذ
القلم فيكتب ما خطر له وعن من غير مراعاة نظير يطلب ذكر نظيره
وقربن يدعو الى اثبات قربنه حتى اذا كتب ماشاء الله ان يكتب ترك
الكتابة ثم عاد اليها في وقت آخر فاخذ يكتب ما خطر بباله ايضا
دون مراعاة ما كتبه قبلاً وهكذا الى آخر الكتاب سوى ان الذي
كتبه كله لا يخرج عن حد البيان فالبيان هو الامراجامع بين كل ما اثبت
في ذلك السفر . فمن جهة انه لا قران بين اكثر الاقوال التي اوردها
كان كتابه اشبه شيء بكشكول العاقل ومن جهة انه كان يكتب فيه
ما خطر على باله مما سمع وروى كان كتابه اشبه بمفكرة يحملها المرء
فيثبت فيها كل يوم ما اراد اثباته من قول وعمل . وليس هذا بعجيب
فان عصر الجاحظ حديث عهد بالتأليف اذ كان المؤلفون ولا سيما كتب

الأدب لا يعتمدون فيما يكتبونه إلا على ما رووه وسمعوه واستظهروه وحفظوه . ولا يظن القارى أنى أريد بكلامى هذا أن انجس الجاحظ كتابه أو انتقصه حقه وفضله فإن الجاحظ امام من أئمة الأدب وجهبذ من جهابذة العرب فما أنا من نظرائه ولا من أكفائه ولئن قصر فى كتابه هذا بعض التقصير فله فيه من الحسن الإحسان والفضل والافضال مالا يغفو اثره كزمان ولا ننوشه ايدى الفضلاء من ذوى البلاغة والبيان فهو على علاته درة قيمة وطرفة كريمة وليست رسالتى هذا لامستخاضة منه ومالى فيها سوى التمحيص والترتيب فكأنى عمدت الى درر متفرقة فنفيت عنها الرغام وجمعتها فى نظام فما أنا فيها الامتطفل على موائد فضله ومغترف من بحر علمه وغاية ما هنالك انك اذا عنيت بالخطابة والخطيب وجئت الى كتاب الجاحظ فقلبتة ظهر البطن لم تجد فيه مما عنيت به سوى لمع متفرقة لا تشفى منك غلة ولا تبرد لك غلة اما اذا رجعت الى رسالتى هذه فانك تجد فيها ما يكفيك ولو سداداً من عوز فهذه الرسالة تغيب فى هذا الباب عن كتاب الجاحظ ولا يغيبك كتاب الجاحظ عنها .

والذى دعانى الى وضع هذه الرسالة هو انهم عهدوا الى بدرس الخطابة العربية فى مدرسة الواعظين بقسطاطية ولم يكن عندى من الكتب التى ارجع اليها فى هذا الفن سوى كتاب الجاحظ المذكور فاستخرجت منه هذه الرسالة بعد ان طالعتة بتدبر من اوله الى آخره اكثر من عشرين مرة وقد سميتها « نفع الطيب فى الخطابة والخطيب » والله اسأل ان ينفع بها الطالبين ويجعل اجرها للجاحظ رحمه الله انه على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

وانا الفقير اليه تعالى

معروف الرصافى

المبحث الاول

في

البيان

قال الجاحظ المعاني القائمة في صدور العباد المتصورة في اذهانهم الخسادة عن فكرهم مستورة خفية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة فلا يعرف الانسان ضمير صاحبه وانما تحيا تلك المعاني في ذكرهم لها واخبارهم عنها بما يدل عليها ويكشفها فيجعل الخفي منها ظاهرا والغائب شاهدا . وعلى قدر وضوح الدلالة يكون اظهار المعنى فكلمما كانت الدلالة اوضح وافصح كان المعنى اظهر . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان .

فالبيان اسم جامع لكل شئ كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير كأثنا ما كان ومن أى جنس كان لان مدار الامر والغاية التى اليها يجرى الفائل والسامع انما هو الفهم والافهام فبأى شئ بلغت الافهام و اوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع .

واعام ان حكم المعانى خلاف حكم الالفاظ لان المعانى مبسوطه الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية واسماء المعانى اى الالفاظ مقصورة ممدودة ومحصلة محدودة فلا بد اذا من امور غير الالفاظ تكون رداً لها فى الدلالة على المعانى . وجميع اصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة اشياء لا تنقص ولا تزيد . اولها اللفظ ثم الاشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال وتسمى نصبة والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات . ولكل واحدة من هذه الخمسة صورة بأثنة من صورة صاحبها وحلية مخالفة لحلية اختها وهى التى تكشف لك عن اعيان المعانى فى الجملة وعن حقائقها فى التفسير .

ولا شك ان مدار الخطبة على البيان وان التفاضل الذى يجرى

في الخطابة هو التفاضل الجارى في البيان لان الخطبة هي جملة من القول يقصد فيها الى الترغيب فيما ينفع الناس من امور معاشهم ومعادهم والتنفير مما يضرهم وقد تشتمل على المدح والفخر وغير ذلك . وكذلك الوصية الا ان الفرق بين الخطبة والوصية هو ان الخطب تكون في المشاهد والمحافل والمجامع والايام والمواسم والنفاجر والتشاجر ولدى الكبراء والامراء ومن الوفود في امر مهم . اما الوصايا فانها تكون لقوم مخصوصين او لشخص مخصوص في زمن خاص على شئ خاص وكثيرا ما كانت تصدر من شخص لعشيرته او سيد لفيلته عند حلول مرض او محاولة نقالة او ماشابه ذلك .

ان كل الامم في حاجة الى الخطابة وكانت العرب من احوج الامم اليها ولذلك ارتقت في الخطابة مرتقى فاقت فيه على غيرها من سائر الامم اذ لا يخفى ما كانت عليه العرب ايام جاهليتهم من الانفة والنفاجر بالاحساب والانساب والمحافظة على سرفهم وعلو مجدهم وسؤددهم حتى حدث ما حدث بينهم من الوقائع العظيمة . ولا شك ان كل قوم لهم مثل ذلك هم احوج الناس الى ما يستنهض همهم ويوقظ اعينهم ويقبم فاعدهم ويشجع جانبهم ويشد جناتهم وينير اسبابهم ويستوقد نيرانهم صيانة لعزهم ان يستهان ولشوكتهم ان تستلان وتشنبا باخذ النار وتحرضا من عار الغابة وذل الدمار وكل ذلك من مقاصد الخطب فكانوا احوج الناس اليها بعد الشعر لتخليد مآثرهم وتأبيد مفاخرهم . ولقد كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر على ما ذكره الجاحظ في كتاب البيان .

وكان للعرب اغناء بالخطيب في جاهليتهم وللخطباء عناية بهم فكانوا يخبرون لها اجزل المعاني وينتخبون لها احسن الالفاظ تحصيلا لغرضهم ونيل مقصدهم فان الالفاظ الرائعة والمعاني الجزلة اوقع في النفوس

واشد تأثيراً في القلوب ولذلك ورد «ان من البيان لسحراً» والاذن للكلام البليغ اصنى واوعى . والترغيب في العاجل والارهاب في الآجل اللذان هما من اهم مقاصد الخطابة ومطالبها العالية ان لم يكونا بعبارات تخلق القلوب وتأخذ بمجامعها فلا تأثير فيهما ولا فائدة منهما .

ولما كان البيان لا يكون باللفظ فقط بل بغيره ايضا من الدلالات الاخر المتقدمة عدت اوضاع الخطيب واشارته باليد ونحوها في اثناء خطبته من تمة بيانه للسامعين ولذا كان من عادة العرب في الخطابة ان الخطيب منهم اذا تفاخر او تنافر او تشاجر رفع يده ووضعها وادى كثيرا من مقاصده بحركات يده فذلك اعون له على غرضه وارهب للسامعين واوجب ليقظهم . ومن عادتهم ايضا في الخطابة اخذ المحصرة بايديهم وهي مايتوكأ عليه كالعصا ونحوها وكانوا يعتمدون على الارض بالعصى ويشيرون بالعصا والقنا وكانوا يستحسنون في الخطيب ان يكون جهوري الصوت ولذا مدحوا سعة الفم وذموا صغره وسيأتيك تفصيل ذلك كله .

المبحث الثاني

ف

قوام الخطابة وآدابها

قال الجاحظ في كتاب البيان قال ابن جرير رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحها رواية الكلام وحليتها الاعراب وبهاؤها تخير اللفظ وتمامها الاشارة .

ترى ان ابن جرير قد ذكر في كلامه هذا ستة امور ثلاثة منها ضرورية فلا تقوم الخطابة الا بها ولا يكون الانسان خطيبا ما لم يحصل عنيا وهي الطبع والدربة ورواية الكلام . واهم هذه الثلاثة الطبع ولذا جعله ابن جرير رأس الخطابة فكما ان الحيوان بلا رأس لا يكون فكذلك

من لم يكن له طبع في الخطابة لا يكون خطيبا وان كان من اهل الفصاحة واللسن وكذلك من لم يكن له طبع في الشعر لا يكون شاعرا وان كان ذابلاغة وبيان . وهذا مما الامرية فيه وقد صرح به الجاحظ في البيان والبيان حيث قال قال مسامة بن عبد الملك انصيب يا بالحناء أما تحسن الهجاء قال أما تراني احسن مكان عافاك الله لا عافاك الله . ولاموا الكميت ابن زيد على الاطالة فقال انا على القصار اقدر وقيل للمعراج مالك لا تحسن الهجاء قال هل في الارض صانع الا وهو على الافساد اقدر . قال وهذه الحجج التي ذكروها عن نصيب والكميت والمعراج انما ذكروها على وجه الاحتجاج اهم وهذا منهم جهل ان كانت هذه الاخبار صادقة اذ قد يكون الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام ويكون له طبيعة في التجارة وليس له طبيعة في الفلاحة ويكون له طبيعة في الحداة او في التعبير او في القراءة بالالحن وليس له طبيعة في الفناء وان كانت هذه الانواع كلها ترجع الى تأليف اللحن ويكون له طبيعة في الناي وليس له طبيعة في السرناي ويكون له طبيعة في قصبة الراعي ولا يكون له طبيعة في القصبتين المضمومتين ويكون له طبع في صناعة اللحن ولا يكون له طبع في غيرها ويكون له طبع في تأليف الرسائل والخطب والاسجاع ولا يكون له طبع في قرض بيت شعر ومثل هذا كثير جدا اه . فقد تبين لك ان من لم يكن له طبع في الخطابة تعذر عليه ان يكون خطيبا ولذلك جعله ابن جرير رأس الخطابة . ثم تأتى بعده الدربة وهي المراتة والممارسة مع شيء من الجراءة ورباطة الجاش فان من كان ذا طبع في الخطابة وجب عليه للتبريز فيها ان يكون ذا دربة بها بتمرنه عليها وممارسته اياها وتعويده نفسه الوقوف في مواقفها حتى يحصل له بذلك من جرأة الجنان في معرض البيان ما يكون به خطيبا مصقعا . وقد جعل ابن جرير الدربة عمود الخطابة وفي ذلك اشارة الى ان الذي لم يكن في الخطابة ذا دربة كان

طبعه في الخطابة غير مجد نفعا لانه يكون كمن له بيت وليس له عمود
يقوم عليه ذلك البيت وقد قال الشاعر

والبيت لا يبنى الا له عمد ولا عمد اذا لم ترس او ناد

ثم تأتي بعد الدربة رواية الكلام والمقصود برواية الكلام هو ان
يكون الخطيب ذا علم باخبار الناس وانسابهم ونواديرهم واحوالهم وصراتهم
وبكل ما يحتاج اليه الخطيب في موقف الخطابة . وحلاصة القول ان يكون
الخطيب غزير المادة فانه اذا لم تكن للخطيب مادة يستمد منها في الخطابة
تعذر عليه ان يقف موقف الخطيب وان كان في الخطابة ذا طبع ودربة .
وقد جعل ابن جرير رواية الكلام جناح الخطابة يشير بذلك الى ان
من لم يكن ذا رواية للكلام كان كطائر مقصوص الجناحين لا يستطيع
الهبوط ولا الطيران .

فهذه الامور الثلاثة اعنى الطبع والدربة ورواية الكلام مما لا بد منه
للخطيب ولا تقوم الخطابة الا بها . واما الثلاثة الاخرى وهى الاعراب
وتخير اللفظ والاشارة فهى امور كمالية لا ضرورية اذا اعراب في الخطبة
حلية وزينة فاذا وقع اللحن فيها سقطت تلك الحلية . وذهبت تلك الزينة
كما ان تخير اللفظ حسن لهما فاذا جاء الخطيب في خطبته بالفاظ مبتذلة مردولة
ذهب الحسن من خطبته ولم تكن لكلامه طلاوة غير ان مصيبة الخطيب
الراذل اعظم من مصيبة الخطيب اللاحن لان اللاحن معترف وان كان معيبا
وقد وقع لكثير من الخطباء الاولين كما سنذكره في محله ولكن الخطيب
اذا رذل الفاظه وجاء بها غير متخيرة ولا متقاة لم تبطه الاسماع مقادتها
ولم يكن لكلامه وقع كبير في النفوس فيفوته الغرض من الخطابة وليس
كذلك اللاحن . واما الاشارة فسنتكلم عليها فيما يأتى ان شاء الله تعالى .
اما آداب الخطابة فاعلم ان من آداب الخطيب في الخطابة ان يلخص المعانى

كما ذكر ذلك الجاحظ عن ابن جرير ايضا فان تلخيصها رفق بالسامعين
وان يترك الغريب من الالفاظ فان الاستعانة بالغريب عجز وان لا يتشادق
فان التشادق من غير اهل البادية بغض والتشادق هو تكلف الفصاحة بان
يتكلم كالاشدق وليس هو بانساق وكذلك التعقير وهو ان يخرج كلامه
من اقصى الفم اى من الحلق وكذلك التعقيب وهو نقصير الكلام واخراج
من اول الفم من غير توفية الحروف حقها من مخارجها فان ذلك كله
مذموم ومقوت . وقد قال الشاعر في رجل يعقر قوله :

يعقر القول لكذا تحسبه من الرجال الفصحاء المعربة
وهو اذا حقته من كربة من نخلة نابتة في خربة

ومن آداب الخطيب ان لا ينظر في عيون الناس فان ذلك عى وان لا يمس
لحيته فان مس اللحية هلك وان لا يخرج ممبى عليه اول الكلام فان
خروجه من ذلك اسهاب . ومن آداب الخطابة ان لا يستعين الخطيب
في خطبته بالحشو من الكلام وتفسير ذلك ما ذكره الجاحظ في كتاب البيان
قال حدثني صديق لي قال قلت للعتابي ما البلاغة قال كل من افهمك حاجته
من غير اعادة ولا حبة ولا استعانة فهو بليغ فاذا اردت اللسان الذى
يروق الالسنه وبفوق كل خطيب باظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل
في صورة الحق قال فقلت له قد عرفت الاعادة والحبة فما الاستعانة قال اما
تراد اذا نحدث قال عند مقاطع كلامه ياهنا وياهنا وياهيه واسمع منى
واستمع الى وافهم عني اولست تفهم اولست تعقل فهذا كله وما اشبهه
عى وفساد اه . فهذا وما اشبهه معدود من الحشو الذى لا طائل تحته فينبغى
للخطيب ان يجتنبه . واما الاعادة التى ذكرها فهي ان يعيد الكلمة او الجملة
مرتين لكى يتأني له ما بعدها وذلك ايضا من دلائل العى واما الحبة
فهي ان يتعذر عليه الكلام عند ارادته فيتوقف في اثناء خطبته عن الكلام

هنية فيجري كلامه متقطعا غير منسجم ولا متسلسل وسنذكر الحيلة عند الكلام على معاييب الخطيب فيما يأتي .

المبحث الثالث

ف

محاسن الخطباء ومعائبهم

قلنا فيما سبق ان انواع الدلالات في البيان خمسة او اياها اللفظ وانذكر هنا ما يتعلق باللفظ من محاسن الخطيب ومعائبه فنقول كل ما كان في الخطيب معينا على الافصاح في اللفظ فهو من محاسنه وكذلك كل ما كان مخلا بالافصاح في لفظه فهو من معايبه . فمن محاسنه جهره الصوت فان الخطيب اذا كان جهر الصوت كان لفظه اوضح وتأثيره في هوس السامعين اشد فان الصوت الضئيل لا يؤثر تأثير الجهر وهذا هو السبب الذي حمل المتشادقين على التشادق والتقصير لان العرب كانوا يمدحون الجهر الصوت ويذمون الضئيل الصوت ولذلك مدحوا سعة الفم وذموا صغره قال محمد بن بشير الشاعر قيل لاعرابي ما الجمال قال طول القامة وضخم الهامة ورحب الشدق وبعد الصوت . وبذلك على تفضيلهم سعة الاستدق ومجائهم ضيق الافواه قول الشاعر

لما الله افواه النبي من قيلة اذا ذكرت في الثابت امورها

وانما شبه افواههم بافواه النبي لصغر افواههم وضعفها . وقد كان العباس بن عبد المطلب جهر الصوت وقد مدح بذلك وقد نفع الله المسلمين بجهره صوته يوم حنين حين ذهب الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى العباس يا اصحاب سورة البقرة هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتراجع القوم وانزل الله

عن وجل النصره واتى بالفتح . وقال انه جبر السلولى فى شدة الصوت

لو ان الصخور الصم يسمعن صلفنا لرحن وفى اعراضهن فطور
الصلق شدة الصوت وفطور شقوق وقال بشار بن برد يهجو بعض الخطباء
ومن عجب الايام ان فت ناطقاً وانت ضئيل الصوت منتفخ السحر
فعابه بضوالة الصوت وبالسعال اثناء الخطبة لانتفاخ سمحده والسحر
الرثة وفى تفضيل الجهاره فى - اطلب قول نبة بن عقال بعقب خطبته عند
سلمان بن على بن عبدالله بن عباس :

الايت ام الجهم والله سامع ترى حيث كانت بالعراق مقامى
عشة بذالناس جهري ومنطقى و بد كلام انساطقين كلامى

وقال طحلاء يمدح معاوية بالجهارة وبجودة الخطبة :

ركوب المناير وثابها معن بخطبته مجهر
تريع اليه هوادى الكلام اذا نزل خطبته المهذر

من تعن اى تعرض له الخطبة فيخطبها مفضيا اليها وتريع اليه ترجع اليه
وهوادى الكلام او الله قزاد ان معاوية بخدب فى الوقت الذى يذهب فيه
كلام المهذر وانهمذر انكسار . وكان ابو عمرو الذى يقال له ابو عمرو
السباع يصيح بالسبع وقد احتل الشاة فيخلها ويذهب هارباً على وجهه
فضرب الشاعر به المل وهو التابعة الجعدى فقال

واذ جر الكاشح العدو اذا اغتا بك عندى زجراً على أضم
زجر ابى عمرو السباع اذا اشفق ان يلتبس بالغم

وكان شيب بن زيد بن نعيم يصيح في حنات الجيش اذا اتاه فلا يلوى احد
على احد وقال الشاعر فيه

ان صاح يوما حسبت الصخر منحدرأ والريح عاصفة والموج يلتطم

ومن محاسن الخطيب ان يكون سند العارضة والمعارضة هي البيان واللس
والجلد والقدرة الفائقة على الكلام . ومن محاسنه ان يكون ثابت الجنان
رابط الجأش وبعبارة اوضح ان يكون ذا جرأة في القول لا يتهيب خصام
المخاصمين وان كنزوا ولا كثرة المجادلين وان عظموا وعليه نجموا .
ومن محاسن الخطيب ان يكون كثير الريق بحيث لا يحف منه اذا اطال
الخطبة لان الريق اذا جف في الفم صعب عليه الكلام وتلجأج فيه ولذلك
نرى الخطباء اليوم اذا اراد احدهم ان يخطب في ارض الجامع والمحافل
وضمواله في جانبه سربة ماء ليسرب منها في اثناء الخطابة جرعا يستعين بها
على الكلام .

وقد جعل بعضهم من محاسن الخطب ان يكون داهية حسن الذاكرة
حسن السميت جميل الصورة جميل المنظر . وقد خالف هذا القول سهل
ابن هارون واحتج في ذلك قائلا ان رجلا يخطب او يخطبنا وكان احدهما
جيلا جليلا بيها نبلا و ذا حسب سريفا وكان الآخر قايلا قبيها
وباذ الهيئة رث اثياب خامل الذكر مجهولا . ثم كان كلاهما في مقدار واحد
من البلاغة ووزن واحد من الصواب اتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضى
للقايل الذمم على النيل الجسم واللباد الهيئة على ذي الهيئة واشغلهم التعجب
منه عن مساواة صاحبه له واصار التعجب منه سببا للتعجب به ولكن
الاكثر في شأنه علة الاكثر في مدحه لان النفوس كانت له احقر ومن بيانه
أئس ومن حسد ابعدا فاذا هجموا منه على ما لم يحتسبوه وظهر منه
خلاف ما قدروا تضاعف حسن كلامه في صدورهم وكبر في عيونهم

لان الشئ من غير معدنه اغرب وكما كان اغرب كان ابعد في الوهم وكما
كان ابعد في الوهم كان اطرف وكما كان اطرف كان اعجب وكما كان اعجب
كان ابداع وانما ذلك كنوادر كلام الصبيان وملح المجانين فان ضحك
السامعين من ذلك اسد وتعجبهم به اكثر

وانت تعلم ان القول الاول هو الصواب اذ لا شك ان جمال الصورة
و بهاء المنظر وحسن الهيئة والسمت امور ممدودة من تمامات الكمال
وفي كلام سهل بن هارون شئ من المغالطة اذ لو سلمنا ان الناس يقضون
لذلك الرجل الديم الرث الهيئة مع مساواة صاحبه له في البلاغة لانسلم
انهم قضوا له بسبب دمامة منظره ورتانة هيئته بل هم انما قضوا له بسبب تعجبهم
منه من حيث انهم كانوا لا ينتظرون منه تلك البلاغة ولا يتوقعون منه تلك
البراعة كما قد اعترف به سهل بن هارون نفسه وعدم انتظارهم منه ذلك
دليل على ان دمامة المنظر ورتانة الهيئة تقص عندهم . هذا ما ذكرناه
من محاسن الخطيب وسنأتي على ذكر ما به في الدرس الآتي .

المبحث الرابع

في

معاييب الخطيب

كل ما كان في الخطيب غخلا بافصاحه في اللفظ عدد من معاييبه فمن معاييبه
ان يكون لجلاجا اي مترددا في كلامه واللجلججه هي التردد في الكلام
كأن يكرر الكلمة حتى يتأني له النطق بتابعدها ويقاهاها الذلاقة والطلاقة
يقال لسان ذليق وخطيب ذليق ولسان ذليق طليق كل ذلك اذا كان
ذاحدة وبلاغة وفصاحة وقال الهمي في اللجلج

ليس خطيب القوم بالجلال ولا الذي يزحل كالهلباج
ورب بيداء وليل داج هتكته بالنصر والادلج

ويدخل في باب اللجلج الخطيب الذي تعرض له التخنجة والسطة
وذلك اذا انتفخ سحره اى رثته فان ذلك ايضا نوع من اللجلجة
والتردد في الكلام وفي قال سحيم بن حنص :

نعوذ بالله من الالهال ومن كلال الغرب في المفال
ومن خطيب دائم السعال

وقال بشر بن معمر في مثل ذلك ايضا :

ومن الكبار مقول متع جم التخنج متعب مجهود

وقال الاثل البكري في زيد بن جندب الايادي خطيب الازارقة
وكانا قد اجتمعا في بعض المحافل :

نخنح زيد وسعل لما رأى وقع الاسل
ويل امه اذا ارتجل ثم اطال واحتفل

ومن معاييب الخطيب ان يكون تتماماً والتمتة هي رد الكلام الى التاء
والميم وقيل التتمام هو الذي تسبق كلمته الى حنكه الاعلى وعن ابي زيد ان
التتمام هو الذي يعجل في الكلام ولا يفهمك والصحيح ما قاله الاصمعي
حيث قال اذا تتعع اللسان في التاء فهو تتمام واذا نتعع في الفاء فهو
فأفاء وفي ذلك يقول ابو الزحف

لست بفأفاء ولا تتمام ولا كثير الهجر في التمام

وانشد ايضا للخولاني

ان السياط تركن لاستك منطقاً كمقالة التمام ليس بمعرب

فقد جعل الحولاني التمام غير معرب عن معناه ولا مفصح بحاجته
ومن معاييه ايضا ان يكون فافاً وفافاً هو الذي يكثر الفاء ويتردد
فيها في كلامه وقد تقدم في ذلك قول الاصمعي وقيل الفافاة حبة
في اللسان وقال المطرزي الفافاء هو الذي لا يقدر على اخراج الكلمة
من لسانه الا بجهد يتبدى في اول اخراجها بشبه الفاء ثم يؤدي بعد الجهد
حروف الكلمة على الصحة . والصحيح هو القول الاول .

ومن معاييه ان يكون الثغ وهو الذي يحول لسانه من حرف الى
حرف آخر كأن تحول لسانه من السين الى التاء او من الراء الى الغين
او غير ذلك . و ذكر الجاحظ في كتاب البيان ان الحروف التي تدخلها
الثغ اربعة القاف والسين واللام والراء قال والثغ التي تعرض للسين
تكون ناء كقوله لابي يكسوم ابي يكسوم وكما يقولون بثرة اذا ارادوا
بسرده وبثم الله اذا ارادوا بسم الله واما اللثغة التي تعرض للقاف فان
صاحبها يجعل القاف طاء فاذا اراد ان يقول قلت له فانه طلت له واذا
اراد ان يقول قال لي قال طالي واما اللثغة التي تعرض للام فان من
اهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله اعتلت اعتيت وبدل جعل
جعي ومنهم من يجعل اللام كافاً كالذي عرض لعمر اخي هلال فانه كان
اذا اراد ان يقول ما العلة في هذا قال ما الكعة في هذا واما اللثغة التي
تقع في الراء فان عددها يضعف على عدد لثغة اللام لان الذي يعرض
لها اربعة احرف فثم من اذا اراد ان يقول عمرو قال عمي فيجعل الراء
يام ومنهم من اذا اراد ان يقول عمرو قال عمع فيجعل الراء غينا
ومنهم من اذا اراد ان يقول عمرو قال عمد فيجعل الراء ذالا واذا انشد
قول الشاعر

واستبدت مرّة واحدة « اما العجز من الاستبد

قال :

واستبد مدة واحدة « اما العجز من الاستبد

ومنه من يجعل الرأ ظاء معجده ويقول اذا اشد هذا البيت

واستبدت مثله واحدة « اما العجز من الاستبد

والذى يجعل الرأ غيا معجده يقول اذا اشد هذا البيت « واستبدت
معة واحدة « واما الالعة الخامسة التى كانت تعرض فى الرأ لواصل بن عطاء
وسليمان بن يزيد العدوى الشاعر فليس الى تصور هاسيل وكذلك
اللغة التى كانت تعرض فى الشين لمحمد بن الحجاج فان تلك ايضا ليس لها
صورة فى الخط نرى بالعين واما يصورها اللسان وتأتى الى السمع .

وربما اجتمعت فى الواحد الغين فى حرفين كبحو لعة - سوسى
صاحب عبدالله بن خالد الاموى فاما كن يجعل اللام ياء والرأ ياء قال
مرّة « مويى وى اى » برى مولاي ولى الرى . واللغة فى الرأ اذا كانت
بالياء فهى احقرهن « انى على الظاء التى على الذال فاما التى على الغين
فهى ايسرهن ويقال ان صاحبها لو جهد نفسه جهده واحد لسانه
وتكلف مخرج الرأ على حقها والافصح بها لم يكن بعدا . من ان نجيه
الطبعة

واعلم ان اللنة اما ان تكون حائبة فطرية واما ان تكون ناسئة
عن عجمة اللسان واكثره كما نسمع فى كلام الاعاجم او فى كلام العرب الذين
هم يرتضخون اللكنة بسبب محالطتهم المعجم ردحا من الدهر فانا نسمع
الترك والفرس عند نطقهم ببعض الكلمات العربية يجعلون الذال زايّا
فيقولون فى ذلك زالك وفى الذى الذى ويقولون فى ذليل زليل وكذلك
هم فى الظاء فيقولون فى ظالم زالم وفى مظلوم مزلوم وفى نظر تزر ويجعلون الثاء

سينا فيقولون في ثلاثة سلاسة وفي اثنين اسنين وفي اثم اسم وقد سمعت مرة احدهم يقرأ قوله تعالى ان بعض الظن اثم فقال (ان بغزالين اسم) فقلت له وان بعضه فعل فقطن لما اردت واخذ بالضحك وكذلك المضاد فانهم يجعلونها زايا ايضا كما رأيت في المثال المتقدم الا انهم ينطقون بالزاء في ذلك كله مصخمة وكذلك نرى اليوم بعض العرب الذين طرأت الالكنة على لسانهم يطول اختلاطهم مع العجم فان اهل سورية يجعلون الذال والطاء زايا كما يجعلون المضاد دالا مصخمة فيقولون في الضرب الدرب وربما جعلوها زايا ايضا فيقولون في ضابط زابط ويجعلون القاف همزة فيقولون آل بدل قال وألت بدل قلت وألم بدل قلم وكذلك اهل مصر يجعلون الاء تاء فيقولون في كثير كثير وربما جعلوها سينا ايضا ويجعلون الجيم كافا فارسية فيقولون في جل كمل واهل العراق يجعلون القاف كافا فارسية فيقولون في قائم كاثم وفي قاعد كاعد كما يجعلون الكاف جيم فارسية فيقولون كذب جذب ويقولون بدل كان جان . غير ان هؤلاء الدرب فادرون على ترك هذه اللغة فان السورى قادر على النطق بالذال مثلامن مخرجها وكذلك الراق قادر على النطق بالقاف والكاف من مخرجهما والمصرى قادر على النطق بالجيم من مخرجها بخلاف غيرهم من العجم فان التركي مثلا غير قادر على ترك لنته الا بالتدرب والممارسة الطويلة وربما استعصى عليه تركها بالمرّة . ولقد كان في قديم الزمان اناس من العجم قد خالطوا العرب وعاشوا بينهم وتكلموا بلسانهم وفهم الشاعر والخطيب ولكنهم مع ذلك لم تفارقهم الالكنة الاعجمية بل كانوا اذا تكلموا لغوا في كلامهم بتغيير بعض الحروف فمن هؤلاء زياد بن سلامى ابو امامة وهو زياد الاعجم قال ابو عبيدة كان ينشد قوله .

فتى زاده السلطان فى الود رفعة اذا غير السلطان كل خليل

قال كان يجعل السين سينا والطاء تاء فيقول « فتى زاده الشلتان

في الود رفعة ، ومنهم سحيم عبد بن الحسحاس قال له عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقد انشده قصيدته التي اواها

عميرة ودع ان تجهزت غاديا كفى الشيب والسلام للمرء ناهيا

لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزئك فقال ماسعرت بريد ماسعرت
فجعل الشين سينا . ومنهم عبيد الله بن زياد والى العراق قال الهاني بن
قيصة أهروزي سائر اليوم يزيد أحروري . ومنهم صهيب بن سنان
النمري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انك الهائن بريد
انك لحائن و صهيب بن سنان هذا كان يرتضخ لكنة رومية وعبيد الله
ابن زياد كان يرتضخ لكنة فارسية وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء واما
ازدايقاذاز فانه كان يرتضخ لكنة نبطية وكان مثلهما في جعل الحاء هاء
وروى بعضهم انه املى على كاتب له فقال اكتب الهاصل الف كركفتها
الكاتب بالهاء كما انفظ بها فاعاد عليه الكلام فاعاد عليه الكاتب فلما فطر
لاجتماعهما على الجهل قال انت لا تهسر ان تكتب واما لا احسن ان
املى فاكتب الجاصل الف كركفتها بالجيم . ومنهم ابو مسلم صاحب
الدعوة كان جيد الانفاذ جيد المعاني وكن اذا اراد ان يقول قلت له
قال قلت له فشارك في تحويل الفاف كافا عبد الله بن زياد . وكان لزياد
عبد اسمه قيل قال مرة لزياد اهدوا الينا همار وهش بريد حمار وحشر
فقال له زياد وأي شيء تقول ويلك قال اهدوا الينا أبرأ بريد غيرا فقال
زياد الاول اهون . وفات ام ولد لجرير بن الخطمي لبعض ولدها وقع
الجردان في عجان امكم ابدلت الذال دالا من الجرذان وضمت الجيم
وجعلت المعين عجانا ، وقال ابن عباد ركبت عجوز سندية جملا فلم
مشي تحتها متخلعا اعتراها كهية حركة الجماع فقالت هذا الذمل يذكر
بالسر فجعلت الشين سينا والجيم ذالا .

ومن معاييب الخطيب ان يكون ذاحبة والحبة هي تعذر الكلام عنه

ارادنا و يقال في لسانه حبيسة اذا كان الكلام بثقل عليه ولم يبلغ حداً بالمأفاه والتمتاع كما يقال في لسانه الكنة اذا دخل بعض حروف المعجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الاولى الى التخرج الاول . ومن قال ان الحبسة هي نغذر الكلام عند ارادته فقد جعلها من قبيل الحصر والى في المنطق والصحيح انها تعسر الكلام لا تنذره ومعنى ذلك ان صانح الحبسة هو من اذا اراد ان يتكلم ثقل عليه الكلام باقل مما ينبغي على المأفاه والتمتاع .

ومن معاييب الخطيب ان يكون ذا حكمة وهو الذي لا يسمع صوته اذا تكلم وهذه تقابل جهارة الصوت التي هي من محاسن الخطيب كما مر . والحكمي ما لا يسمع له صوت كالذر ويقال تكلم كلام الحكل اي كلاما لا يفهم قال رؤبة بن العجاج .

لو اى اوبيت علم الحكل غم ساجان كلام النمل

وقال محمد بن دؤيب في مدح عدنان ملك بن صالح

وبهم قول الحكل لو ان درة نساود اخرى لم فنه سوادها

وقال النجاشي في هجائه ابني زغاب

ولكن حكلا لا بين ودينها عبادة اعلاج عابها البرانس

قال الجاحظ « اذا قالوا في لسانه حكمة فانما يذهبون الى نقصان آلة المنطق وعجز اداة اللغز حتى لا تعرف معانيه الا بالاستدلال » ولا شك ان الصوت محدود من آلة المنطق واداء اللغز فاذا كان في الصوت نقص وعجز كان غير مسموع جيداً واذا كان غير مسموع جيداً فانت السامع بعض كلماته واذا فانت السامع بعض كلماته صار لا يعرف معانيه الا بالاستدلال وخلاصة القول ان الحكل هو ما لا يسمع له صوت فالحكمة اذا عيب خاص الصوت ولكنهم ربما توسعوا في ذلك فاطلقوا الحكل على كل من لا يحسن

البيان سواء كان ذلك لعجز في صوته او تغير ذلك كما رأيت في بيت
النخعي الذي تقدم حيث قال

والكن حكلا لاسين ودينها عذبة اعلاج عابها البراس

فقد جعل بني تغلب حكلا وفسره بقوله لاسين ولم يقصد ان ي
تغلب كلهم اصواتهم غير مسموعة

ومن معائب الخطب ان يكون الهمزة في الالف وهو الذي اسكنهم
ملا الالف في الالف وكان يعطى الكلام قال ابو عبد الله اذا ادخل الرجل بعض
كلامه في بعض وهو الالف وقيل بالالف الالف والالف لاني ازحف الراجز
كان فيه لفظا اذا نطق من طول بحسب وهم وادق

بقول كانه لما جلس وحده ولم يكن له من بكلمة وطال عابها ذلك
اصابا لقف في الالف وكان يزيد بن حار وامي الازارفة بعد ان تقدم
بقال له الصموت لانه لما طال صمته نقل عابها الكلام فكان الالف الالف
والابكاد سين . وهم من هذا ان الالف اما ان يكون عارضا من طول
الصمت وترك ممارسة الكلام واما ان يكون حائضا بمعنى ان صاحبه كذا
خاف .

ومن معائب الخطب ان يكون هذرا وانهدرته هي العجالة والاسراع
في الكلام وانشد الاصمعي .

حديث بني زط اذا ما اغنهم كثر والدي في العرفج اشعار

قال ذلك حين كان في كلامهم عجلة فشب كلامهم بتتابع الاصوات
الحاصلة من تواب الدي بين سجر العرفج والدي اصغرا جراد وقيل
الجراد قيل نبات اجنحته الواحدة دابة . وقال سلامة بن عباس

كان بني رالان اذ جاء جمعهم فراريج يلتق بينهم سويق

قال ذلك لركة اصواتهم وعجلة كلامهم لان الفراريج اذا ألقى لها

الحب صرن يتقدنه بتأخيرهن ويصوتن عند فقد اصواتا متقطعة متتابعة
فهذمة بنى رالان في كلامهم كاصوات هذا الفراريج من حيث انها غير
مفهومة اذ لا تسلك ان العجلة في الكلام لم تكن امرا معيا الا لكونها
مخلة بفهم المعنى عند السامع .

وقد تبين لك من هذا المعاييب التي ذكرناها ان كل ما اخل بالافصاح
وادي الى اختلال الصوت الذي منه تتكون الحروف كان معيا في الخطيب
واذا كان الامر كذلك فسقوط بعض الاسنان ولا سيما الناي من فم الخطيب
معيب لان ذلك مؤد الى اختلال الصوت وقلة الافصاح في اللفظ . وكان
سهيل بن عمرو الخطيب بخطب في العرب ضد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك قبل اسلامه فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله
اتزع نبيه السفليين حتى يدلع اسنانه فلا يقوم عليك خطيبا ابدا . وانما
قال ذلك لان سهيلا كان اعلم فاذا تزعت ثنيتهما السفليان عجز عن النطق
باكثر الحروف ولم يصاح حينئذ ان يكون خطيبا . ومما يدل على ان سقوط
بعض الاسنان معدود من معاييب الخطيب عندهم ما حكاه خلاد بن يزيد
الارقط قال خطب الجمحي خطبة نكاح اصاب فيها معاني الكلام وكان
في كلامه صغير يخرج من موضع ثناياه المتزوعة فاجابه زيد بن علي بن
الحسين بكلام في جودة كلامه الا انه فضله بحسن المخرج والسلامة من
الصغير فذكر عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر سلامة لفظ زيد
بسلامة اسنانه فقال في كلمة له

قلت قوادحها وتم عديدها فله بذاك مزية لانكر

ويروى بدل الشطر الاول « صحت مخارجها ونم حروفها » فعلى
الرواية الاولى الضمير في قوادحها وعديدها راجع الى الاسنان والقوادح
جمع فادحة وهي الدودة التي تنخر الاسنان يقال اسرعت في اسنانه القوادح
اذا اصابها ذلك فتساقطت فكأنه قال ان اسنانه قد سلمت من القوادح

فم عديدها ولم يسقط منها شيء فكانت له بسببها مزية في خطبته لا تنكر.
وعلى الرواية الثانية الضمير في مخارجها وحروفها راجع الى الخطبة والمعنى
ظاهر . وانت ترى ان الجمحي وزيدا كانا متساويين في البلاغة وجودة
الكلام وانما فضله زيد بتمام اسنانه وسلامة خطبته من الصغير فكان
سقوط اسنان الجمحي معيا فيه . وقال الاخنف بن قيس نفتخر بتمام
اسنانه وهو ابن العرب والعجم .

انا ابن الزافرية ارضعتني بسدى لا اجد ولا وخم
انمتى فلم تنقص عظامي ولا صوفى اذا اصطك الخصوم

قال يونس بن حبيب انما عني بقوله عظامي اسنانه التي في فم وهي
التي اذا تمت تمت الحروف قال ولا يجوز ان يكون عني بقوله عظامي
عظام اليدين والرجلين اذ كيف يعنى ذلك وهو اخنف من رجله جميعا .
وقد ذكروا ان معاوية لم يتكلم على منبر جماعة منذ سقطت نناياه
في الطست قال ابو الحسن وغيره لما شق على معاوية سقوط مفادهم فيه قال
له يزيد بن معن السامي والله ما بلغ احد سنك الا ابغض بعضه بعضا ففوك
اهون علينا من سمعت وبصرك فطابت نفسه . قال ابو الحسن المدايني لما
سد عبد الملك اسنانه بالذهب قال لولا المنابر والنساء ما باليت متى سقطت .
هذا اذا سقط بعض الاسنان دون بعض . اما اذا كان الحظيب ادرد
اي ساقط الاسنان كلها فلا ضمير عليه من سقوطها اذ لا يكون سقوطها
حيث مخرجا بالافصاح ولا مؤديا الى اختلال الصوت واخراج الحروف من
مخارجها . قال محمد بن عمرو الرومي قد صحت التجربة وقامت العبرة
على ان سقوط جميع الاسنان اصاح في الابانة عن الحروف منه اذا سقط
اكثرها وخالف احد شطريها الشطر الآخر وقد رأينا تصديق ذلك
في افواه قوم شاهدتهم الناس بعد ان سقط جميع اسنانهم وبعد ان بقى
منها الثلث والرابع فمن سقط جميع اسنانه وكان معنى كلامه مفهوما الوليد

ابن هشام القحذمي صاحب الاخبار ومنهم ابوسفیان والعلاء بن ليدي التغابي
وكان ذابيان ولسن . وكان سفیان بن الابرذ الكلبي كثيرا ما يجمع بين
القار والحار فتساقت اسنانه جميعا وكان مع ذلك خطيبا بيتنا . وقال اهل
التجربة اذا كان في اللحم الذي فيه مغارز الاسنان تشمير وقصر سمك
ذهبت الحروف وفسد البيان واذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئا
يقرعه ويصكه ولم يتر في هواء واسع المجال وكان لسانه يملأ جوبة فله لم
يضره سقوط اسنانه الا بالمقدار المقتفر . وقد ضرب الذين يقولون ان
ذهاب جميع الاسنان اصاح في الابانة عن الحروف من ذهاب الشطر او
الثلثين في ذلك مثلا فقالوا الحمام المقصوص جناحا جميعا اجدر ان يطير
من الذي يكون احدهما وافرا والآخر مقصوصا قالوا وعلة ذلك التعديل
والاستواء واذا لم يكن كذلك ارفع احد سقيه وانخفض الآخر فلم يجدف
ولم يطير .

ومما يلحق بمعايب الخطيب الشفا وهو اختلاف نبتة الاسنان في الطول
والقصر والدخول والخروج . والسن الشاغبة هي الزائدة على الاسنان
ويقال لمن فيه ذلك اتى وما سميت العقاب بالشغواء الزيادة منقارها
الاعلى على الاسفل قال الجاحظ كان زبد بن جندب الايادي الخطيب
الازرقى اسنى اقاح ولولا ذلك لكان اخطب العرب قاطبة وقال عبيدة
بن هلال البشكري في هجائه

اسى عقبة وناب ذو عصل وقاح باد وسن قد انصل

والعقبة من صفات العقاب يقال عقاب عقبة اي ذات مخالب
حداد والعصل الاعوجاج والقلح اصفرار في الاسنان وقال عبيدة ايضا فيه
ولفوك اشنع حين تنطق فاغراً من في قريح قد اصاب بريرا
والبرير ثمر الاراك .

وآخر ما نذكره من معايب الخطيب هنا هو ان يعتريه في اثناء الخطابة

البهر والارتعاش والعرق قال الجاحظ واءب عندهم اى العرب من دقة الصوت وضيق مخرجه وضعف قوته ان يعترض الخطيب البهر والارتعاش والرعدة والعرق قال العماني في وصف خطيب

لاذفرهش ولا بكاب ولا باحلاج ولا هباب

والهش الذى يجود بعرقه سريعا وذلك عيب والذفر الكثير العرق والكابي الذى لا يكاد يعرق كالتريدا الكابي الذى لا يكاد يورى شعله العماني حالا بين حالين اذا خطب .

المبحث الخامس

ف

حاجة الخطيب الى الاشارة

جرت العادة عند جميع الائم على اختلاف سمتها ان الانسلان اذا تكلم احتاج فى اثناء كلامه الى الاشارة باليد والغمز بالعين والجفن والحاجب والى انقصاص الرأس ونحريك المنكبين والى احداث اوضاع فى يده تناسب معانى كلامه وهذا مشاهد من كل من تكلم من الناس ولا بد منه للمتكلم ولولا اوضاع اكثر دقائق الكلام من معانيه المقصودة ولكان الكلام المسموع من ثم المتكلم كالكلام المفروء فى كتاب ولما بقى فرق بين من قام خطيبا وبين من اخذ بيده صحيفة وصار يقرأ ما فيها على السامعين مع ان الفرق بينهما ظاهر لا ينكر .

ولاشك ان غرض المتكلم انما هو افهام المعنى والاشارة تشارك اللفظ فى الافهام بل قد تكون مستقلة فى التفهيم كما نشاهد ذلك فى كلام الحرس فانهم انما يتكلمون بالاشارة فقط وبها يتم التفاهم بينهم وبين من اراد الكلام معهم فالاشارة تنوب عن اللفظ فى كلام الحرس وتكون عوناً له فى كلام غير الحرس .

وقد تكلم الجاحظ عن الإشارة فقال فاما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب وبالثوب وبالسيف اذا تباعد الشخصان وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا رادعا ويكون وعيدا وتحذيرا قال والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ما سنوب عن اللفظ وتغنى عن الخط . وفي الإشارة بالعارف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعوقة حاضرة في أمور يسترها الناس من بعض ويخفونها من المجلس وغير المجلس ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب البتة وقد قال الشاعر في دلالة الإشارة :

اسارت بطرف العين خيفة اهلها	انشارة مذعور ولم نتكلم
فاقت ان العرف قد قال مرحبا	واهلا وسهلا بالحبيب الهم

وقال الآخر

وللقاب على القاب	دليل حين يلقاه
وفي الناس من اثنا	س مقابيس واشباه
وفي العين غنى للمرء	ان تنطق افواه

وقال الآخر

تري عنها عني فتعرف وحيها	وتعرف عني ما به الوحي يرجع
--------------------------	----------------------------

وقال الآخر

العين تبدى الذي في نفس صاحبها	من المحبة او بغض اذا كانا
والعين تنطق والافواه صامته	حتى ترى من ضمير القب تيانا

هذا ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت فهذا أيضا باير تتقدم فيه الإشارة على الصوت . والصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهري الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما

موزونا ولا متودا الا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما الا بالتقطيع والتأليف . وحسن الاسارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذى يكون مع الاسارة من الدل والشكل والتشبه والتثني وغير ذلك من الامور .

وقد اتفق لبعض خطباء العرب انهم خطبوا وكانت عماد خطبتهم الاسارة لا غير . فمن ذلك ان مصعب بن الزبير لما قدم العراق صعد المنبر فقال بسم الله الرحمن الرحيم : طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها تبعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين (واسار بيده نحو الشام) وريد ان ممن على الدين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الواردين (واسار بيده نحو الحجاز) وتمكن اهلهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما معهم ما كانوا محذرون (واسار بيده نحو العراق) فكان خطبته هذه وقع عظيم في النفوس مع انه لم يأت فيها بنى من اللمط سوى انه قرأ القرآن واسار بيده أثناء قراءته .

ومن هذا النيل ما ذكره من خطبة يزيد بن المظفر وذلك ان معاوية اراد ان يأخذ من الناس البيعة لابنه يزيد فلما اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد واظهر قوم الكراهة فام رجل فقال له يزيد بن المظفر فاخترط من سيفه شبرا ثم قال هذا امير المؤمنين (واسار بيده الى معاوية) فان مات فهذا (واسار بيده الى يزيد) فمن أبى فهذا (واسار بيده الى سيفه) فقال له معاوية انت سيد الخطباء .

واعلم انه ليس للاشارة من ضابط يضبط انواعها اتجاه المعاني فلا يمكن تخصيص نوع من الاشارة بمعنى من المعاني كأن يقال ان نوع كذا من الاشارة باليد او بالتمكيب او بالحاجب يدل على معنى كذا من الكلام دون غيره او يقال ان الاشارة على الوجه الفلاني . يجب ان تكون عند

قصد المعنى الفلاني دون غيره . بل الإشارة على اختلاف أنواعها وتعدد صورها مشاعة بين أنواع المعاني أي مغفلة عن الوضع تجاه المعاني وإنما الأمر في استعمالها راجع إلى ذوق الخطيب وعادته وحذقه ولباقته فكل خطيب عادة في الإشارة يمتاز عادة غيره ومن هنا يقع التفاضل بين الخطباء في كيفية استعمال الإشارة فكلما أوقع الخطيب هذه الإشارات في مواقعها الملائمة لها من الكلام وأبرزها بصورة تناسب صور المعاني بحيث تكون متممة للمعنى وكانتمة له كن ذلك الخطيب أحق بأن يحرز قصب السبق في مبدائها واجدر بأن يعد الجلي في منسارها .

هذا هو الحكم العام الذي ينبغي أن نحكم به عند تفصيل أنواع الإشارة وتبين صورها الخاصة واليكين يتكّن مع ذلك أن نذكر لبعض الإشارات مواقع خاصة من الكلام قد اصطاح جمهور الناس عليها في مواضع خاصة حتى صار استعمالها في مثل تلك المواضع متعارفا بينهم ومألوفا لهم ولذا كررنا أمثلة من ذلك قفول قد جرت العادة أن المتكلم إذا ذكر الزمان الماضي أشار بيده إلى خلف بأن يرفع إحدى يديه نحو كتفه مبسوطاً أو مقبوضة دون الإهام وإذا ذكر المستقبل أشار بها إلى الأمام بأن يمدّها إلى الأمام مبسوطاً أو مقبوضة دون السبابة وإذا ذكر الزمان الحاضر أشار بها إلى تحت نحو قدميه وإذا استفهم عن الزمان أو المكان كأن يقول مثلاً (متى جاؤا واين ذهبوا) متبدء مفتوحة الكف وحركتها بحركة خفيفة افقة وإذا تعجب من شيء قاب كفه أو كفيه مفتوحة نحو السماء وقد ذكر الشيخ الأكبر في كتابه شاضرة الأبرار أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا تعجب قلبه من شيء كلمها . ومما جرت به العادة أن المتكلم إذا ذكر الضرب بالسيف عمل بيده حركة كحركة يد المضارب بالسيف وإذا ذكر الطعن بالرمح حركتها كحركة يد الطاعن بالرمح وإذا ذكر الكتابة بالقلم قبض أنامله كما يقبض الكاتب بأنامله على العلم وحرك يده كحركة يد الكاتب وإذا ذكر شيئاً من لباس الثياب عمل

بيديه كأنه يلبس ثوبا وإذا سور كلامه باداة سور كأن يقول متل الناس كلهم أوجمعا أوقاطية مديده وداربها من جهة اليمين الى جهة الشمال كأنه يصور بذلك الاحاطة والشمول . وأما الرأس فقد جرت العادة برفعه قليلا عند اتقى كقول لا وبخفضه قليلا عند الجواب كقول نعم . وأما انغاض الرأس أى تحريكه فهو إشارة الى التعجب والاستهزاء وقد ذكر الله تعالى ذلك عن كيد العرب حيث قال « فسينفضون اليك رؤسهم » أى فسيحركونها نحوك . تعجبا واستهزاء وقد جرت العادة أيضا بان يعبس المتكلم ويهبط بين عييه اذا اخذ باللوم والزجر والتفريع وكذلك اذا اخذ بالهديد والترهيب وان يجعل وجهه طمنا شوسا اذا اخذ بالتأهيل والترحيب كما جرت العادة برفع المنكين وخفضهما عند عدم الاكتراث والمبالاة . هذا وأما اوردنا هذه الجملة من صور الاشارة على طريق المثال والافصور الاسارة كثيرة لا تحصى والامر فيها كما قلنا أننا راجع الى ذوق المتكلم وعادته ومهارته كما لا يخفى

وقد خالف بعضهم فى لزوم الاشارة والحركة عند الخطبة كما روى ذلك أبو شمر عن معمر بن ابي الاسود قال اجأحط وكان أبو شمر هذا اذا خطب لم يحرك بده ولا منكيه ولم يقاب عيه ولم يحرك رأسه حتى كن كلامه كأنما يخرج من صدع صخرة وكان يقضى على صاحب الاشارة بالافتقار الى ذلك وبالعجز عن بلوغ اراده وكان يقول ليس من المنطق ان تستعين عليه بنيره حتى كله ابراهيم بن سيار النظام عند ايوب ابن جعفر فاضطره بالحجة وبالزيادة فى المسئلة حتى حرك يديه وحل حبوته وحباله الى حتى اخذ بيديه فى ذلك اليوم انتقل ابوب من قول ابى شمر الى قول ابراهيم . قال وكان الذى غرأ اباشمر ومثوله هذا الرأى ان اصحابه كانوا يستمعون منه ويسامعون له ويميلون اليه ويقبلون كل ما يورد عليهم ويثبت عندهم فلما طال عليه توقيهم له وترك مجاذبتهم اياه وخفت مؤنة الكلام عليه نسي حال منازعة الاكفاء ومجاذبة الخصوم .

المبحث السادس

ف

المحصرة والمصا

اغلم ان الكلام على المحصرة معدود من تمة الكلام على الانشارة لان المحصرة ليست الا صلة لليد التي بها تكون الانشارة ولذا جئنا بهذا البحث بعد بحث الانشارة .

من عادة خطباء العرب اخذ المحصرة للانشارة وخذ وجه الارض بها اثناء الكلام وربما كانت عصا وربما كانت قناة وكذلك من عادتهم ايضا الاتكاء على اطراف القسي والاعتماد عليها اثناء الخطابة .
قال كثير في خذ وجه الارض بالمخاصر .

اذا قرعوا المنابر ثم خدلوا باطراف المخاصر كالغضاب
وقال ابو عبيدة سأل معاوية شيخا من بقايا العرب أي العرب رأيته اضخم شأنا قال حصين بن حذيفة رأيته متوكئا على قوسه يقسم في الحليفين اسد وغطفان . وقال جرير بن الحطفي في حمل القناة
من للقناة اذا ماعى فائلها والاعنة يا عمرو بن عمار

ومن هذا القيل قول ابى الجيب الربيعي حيث يقول « لا زال تحفظ اخاك حتى يأخذ القناة فعند ذلك يفضحك او يمدحك » ومعنى قوله حتى يأخذ القناة أي حتى يقوم خطيبا فاذا قام يخطب فقد قام المقام الذي لا بد من ان يخرج منه مذموم او محمود . وقال ابو اليقظان كانوا يقولون اخطب بنى تميم البيث اذا اخذ القناة فهزها ثم اعتمد بها على الارض ثم رفعها . وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه جاء البقيع ومعه محصرة

فجلس فنكت بها الارض ثم رفع رأسه فقال ما من نفس منقوسة الا وقد كتب مكانها من الجنة او النار . وهو من حديث ابى عبد الرحمن السلمى وقوله منقوسة معناه مولودة يقال نفس فلان اى ولد فهو منقوس ويقال ورث فلان هذا قبل ان ينفس اى قبل ان يولد . وما يدلك على استحسانهم شأن المحصرة حديث عبدالله بن انيس ذى المحصرة وكان النبى صلى الله عليه وسلم اعطاه محصرة فقال تلقانى بها فى الجنة وهو مهاجر عقى انصارى وهو ذوا المحصرة فى الجنة . وفى الحديث ايضا ان رجلا أُلح على النبى صلى الله عليه وسلم فى طاب بعض المغنم وكانت بيده محصرة فدفعه بها فقال يا رسول الله اقضى فلما كشف النبى له عن بطنه احتضنه وقبل بطنه والدليل على انهم كانوا يتخذون المحاصر فى مجالسهم كما يتخذون القنا والمضى فى المحافل قول الشاعر فى بعض الحلفاء

فى كفه خيزران رحيها عبق من كف اروع فى عرينه سم
يفضى حياء ويفضى من مهابة فما يكلم الا حين يتسم

وقال الآخر

بجالسهم خفض الحديث وقولهم اذا ما قضا فى الامر وحى المحاصر
وقال الآخر

يصيبون فصل القول فى كل خطبة اذا وصلوا ايمانهم بالمحاصر

وما يصح ان يكون دليلا فى هذا الباب ما حدث به بعضهم اذ قال كنا منقطعين الى رجل من كبار اهل العسكر وكان لثنا عنده يطول فقال بعضنا ان رأيت ان نجعل لنا اماراة اذا ظهرت لنا حفظنا ولم نتعبك بالقعود فقد قال اصحاب معاوية لمعاوية مثل الذى قلنا لك فقال اماراة ذلك ان اقول اذا شتم و قيل ليزيد مثل ذلك فقال اذا قلت على بركة الله وقيل لعبد الملك مثل ذلك فقال اذا القيت الخيزرانة من يدى قالوا فأى شئ تجعل لنا اصلحك الله قال اذا قلت يا غلام الغداء .

قال الجاحظ وبالناس حفظك الله اعظم الحاجة الى ان يكون لكل جنس منهم سيما ولكل صنف منهم حلية وسمة يتعارفون بها قال وعند العرب العمة واخذ المخصرة من السيا وقد لا يلبس الخطيب الملحفة ولا الجبة ولا الفميص ولا الرداء والذي لا بد منه العمة والمخصرة وربما قام فيهم وعليه ازاره قد خائف بين طرفيه وربما قام فيهم وعليه عمامة وفي يده مخصرة وربما كان قضيبا وربما كانت العصا وربما كانت قناة قال وربما كان العمود نبما وربما كان شوحتا وربما كان من أبنوس ومن غرائب الحشب ومن كراشم العيدان ومن تلك الملس المصفاة وربما كانت لب غصن كريم فان للعيدان جواهر كجواهر الرجال ولولا ذلك لما كانت في حزائن الخلفاء والملوك . قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بالقضيب وكفى بذلك دليلا على عظم غناها وشرف حالها يعني العصا او المخصرة قال وعلى ذلك الخلفاء وكبراء العرب من الخطباء وقد كان مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية حين احيط به دفع البرد والقضيب الى خادم وامره ان يدقهما في بعض تلك الرمال ودفع اليه بتاله وامره ان يضرب عنقها فلما اخذ ادم في الاسرى قال ان قتلتموه ضاع ميراث النبي صلى الله عليه وسلم فامنوه على ان يسلم لهم ذلك . وفي الخبر ان ابا بكر رضى الله عنه أفاض من جمع وهو يحرش بعيره بمحرجه يحرش بعيره اى يحك ظهره بالمحجن ليسرع والمحجن العصا المنعطفة الرأس . وفي الحديث المرفوع انه طاف بالبيت يستلم الاركان بمحرجه ثم يجذبه اليه يربد بذلك تحريكه . وكانت العزة التى نحمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما جعلوها قبلة اشهر واذكر من ان يحتاج في تثبيتها الى ذكر الاسناد والعزة هى العصا الطويلة التى فى اسفلها زج .

قال الجاحظ ومن شأن المتكلمين ان يشيروا بايديهم واعناقهم وحواجبهم فاذا اشاروا بالعصا فكأنهم قد وصلوا بايديهم ابدىا اخر ويدل على ذلك قول الانصارى الذى يقول

وسارت لنا سيطرة ذات سؤدد بكوم المطايا والخيول الجماهر
يؤمنون ملك الشام حتى تمكنوا ملوكا بارض الشام فوق المنابر
يصيدون فصل النول في كل خطبة انا وصلوا اثنائهم بالمخاصر

وايضا ان حمل المعصاة والمخصرة دليل على التأهب للخطبة والنهي
الاطناب والاطالة وذلك سبب خاص بتعباء العرب ومنصور غاتهم ومنسوب
اليهم حتى انهم ليذهبون في حوانجهم والمخاصر في ايديهم النما لها وتوفعا
لبعض ما يوجب حملها والاشارة بها قال ولا يكون ذلك من عجزهم عن
الكلام واستعانهم بالمخاصر عليه كما رعت الشعوبية وانما يكون العجز
والذلة في دخول الحلال والنقص على الجوارح فاما الزيادة فيها فالصواب
فيه وهل ذلك الا كتعظيم كور العمامة واتخاذ القضاة القلائس العظام
في حمارة القيظ واتخاذ الخلفاء العمام على الفلاس فان كانت القلائس
مكشوفة زادوا في طولها وحادرة رؤسها حتى تكون فوق قلائس جميع
الامة وكل ما زادوه في الابدان ووصلوه في الجوارح فهو زيادة في تعظيم تلك
الابدان . والعصى والمخاصر مع الذي عددناه باب واحد في المعنى . قال و
المعنى قد يقع بالقضيب على اوزان الاغاني والمتكلم قد يشير برأسه ويده
على اقسام كلامه وتقطيعه ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الالفاظ
وضروب المعاني ولوقبضت يد المتكلم ومنع حركة رأسه لذهب ثلثا
كلامه وقال عبد الملك بن مروان لو القيت الخيزرانة من يدي لذهب
شطر كلامي . واراد معاوية سحبان وائل على الكلام وقد كان اقتضبه
اقتضابا فلم ينطق حتى اتوه بمخصرة فرطلها بيده فلم تعجبه حتى اتوه
بمخصرته من يده

وقد نعت الشعوبية على العرب هذه العادة اعني اخذها المخاصر
في الخطب وعابت هذا الدين وقدت هذا الرأي اشد التفيد جريا في ذلك
على ما جبت عليه تجاه العرب من الحسد والبغضاء . والشعوبية اناس من

العجم يتعصبون للعجمية ضد العربية ويتقمون على العرب مفاخرهم و ينكرون مآثرهم ومآلهم من الميزة في براعة المتطق وحسن البيان وقد ذكر العلماء شبههم وردوا عليهم بما لا حاجة بنا الى ذكره هنا .

المبحث السابع

ف

انواع الخطب عند العرب

لما نظرت في كتاب الجاحظ « البيان والتبيين » وطالعه وتدبرته من اوله الى آخره تبين لي ان انواع الخطب عند العرب عشرة وهى هذه (١) خطبة الجمعة (٢) خطبة العيد (٣) خطبة الصلح (٤) خطبة الجمالة (٥) خطبة يوم الحفل (٦) خطبة المواهب (٧) خطبة بين السباطين (٨) خطبة التأين (٩) خطبة الموسم (١٠) خطبة النكاح . فاما خطبة الجمعة والعيد فهى للخلفاء والامراء ومن ينوب عنهم والغائب عليها ان تكون سياسية دينية اجتماعية وبالجملة فان خطب الجمع والاعياد عامة تتناول كل امر من امور الدين والدنيا . ولا يفهم من هذا ان خطب الخلفاء والامراء مفصولة على الجمع والاعياد بل هم يخطبون عند مسيس الحاجة الى الخطبة فى أى يوم شاؤا وأى وقت ارادوا وقد قال عبد الملك بن مروان لما قيل له عجل عليك الشيب يا امير المؤمنين « وكيف لا يعجل على وانا اعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة او مرتين » يعنى خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الامور . واليك خطبة للامام على رضى الله عنه . ان سفيان بن عوف الازدى ثم الغامدى اغار على الانبار فى زمن على بن ابي طالب رضى الله عنه وكان ابن حسان عاملا عاها اذ ذاك فقتله سفيان وازال تلك الجبل عن مسالحها فخرج على رضى الله عنه حتى قام على السدة فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه
الله ثوب الذلة وشمله البلاء والزمه الصغار وسيم الحسف ومنع النصف
الأواني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا
وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزى قوم قط في عقر
دارهم الاذلوا فتوا كلمتم وتحاذلتم وقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم
ظهريا حتى شئت عليكم الغارات . هذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار
وقتل ابن حسان البكري وازال خيلكم عن مسالحها وقتل منكم رجلا
صالحين وقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى
المعاهدة فينتزع اجمالها وقلبها ورعتها ثم انصرفوا فارين ما كلم رجل
منهم كلفوا ان امرا مسلمامات من بعدها اسفا ما كان عندي ملوما بل
كان عندي بها جديرا فيا عجبا من جد هؤلاء القوم في باطلهم وفشلهم
عن حقكم فقبحا لكم وترحاحين صرتم غرضا يرمى وفيثا ينهب يفار
عليكم ولا تغربون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم
بالسير اليهم في الحر قلم حرارة القيظ امهلنا حتى ينسلخ عنا الحر واذا
امرتكم بالسير في البرد قلم امهلنا حتى ينسلخ عنا القبر كل هذا فرارا
من الحر والقبر فاذا كنتم من الحر والقبر تفرون فاتم والله من السيف
افر يا اشباه الرجال ولا رجال ويا احلام الاطفال وعقول ربات الحجال
وددت ان الله اخرجني من بين ظهرائكم وقبضني الى رحمته من بينكم
والله لو ددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفتكم والله حرت ندما وورثتم
صدرى غيظا وجرعتموني الموت انقاسا وافسدتهم على رأى بالعصيان
والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب شجاع ولكن لا علم له
بالحرب لله ابوهم هل منهم احد اشد لها مراسا واطول لها تجربة
مني لقد مارسها وما بلغت العشرين فيها وقد نيفت على الستين ولكنه
لا رأى لمن لا يطاع . فقام رجل من الازد يقال له فلان بن عفيف ثم

اخذ بيد اخ له فقال يا امير المؤمنين انا واخي كما قال الله تعالى رب انى لا املك الا نفسى واخي فرنا بامرك فوالله لنضربن دونك وان حال دونك جمر الفضاوشوك القتاد . فأتى عليهما خيرا وقال لهما اين تقعان مما اريد ثم نزل .

وخطبة اخرى له بهذا الاسناد فى شبيه بهذا المعنى قام فيهم خطيبا فقال :

ايها الناس المجتمعة ابدانهم المحتاجة اهواؤهم كلامكم بوهمى العم الصلاب وفعلكم يطمع فكم عدوكم شولون فى المجالس كيت وكيت فاذا جاء القتال قاتم حيدى حياء . ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من فاساكم اعالي باضاليل وسألتموني التأخير دفاع دى الدين المطول هبهات لا يمنع الضيم الدليل ولا يدرك الحق الا بالجد . أى دار بعدداركم تمنعون ام مع أى امام بعدى تقائلون المغرور والله من غررتموه ومن فازبكم فاز بالسهم الا خيب اصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع فى نصرتكم فرق الله بينى وبينكم واعفنى بكم من هو خيرلى منكم لوددت انى بكل عشرة منكم رجلا من بنى فراس بن غنم صرف الدينار بالدرهم .

وانما اوردنا هاتين الخطبتين لتكونا دليلا على ان خطب الخلفاء والامراء غير مقصورة على الجمع والاعياد بل هم يخطبون عند مسيس الحاجة فى كل وقت .

(خطبة الصلح)

واما خطب الصلح فهى الخطب التى يخطبونها اذا تهادنوا بعد حرب فيسلون فيها السخائم ويمحون اثر الضغائن ويدعون الى التواصل وهذه خاصة بالحروب التى كانت تقع بين قبائل العرب اذ الصلح بينهم وبين

غيرهم من الأمم لا يقع على هذا الشكل ومثل خطب الصلح خطب الحمالة
ايضا فان الحمالة كسحابة هي الدية يحملها قوم عن قوم فاذا ارادوا حمل
دية قتل قاموا وخطبوا بمثل خطب الصلح . وزب قائل يقول يفهم
من هذا ان موضوع خطبة الحمالة كموضوع خطبة الصلح واذا اتفقتا
في الموضوع فاما ذا جعلتهما نوعين ولم تعدها نوعا واحدا قال لئن اتفقتا
في الموضوع فقد اختلفتا في السبب فان خطب الصلح مسببة عن الحرب فتكون
بعد الحرب بخلاف خطب الحمالة فاما لم يسبق محروب وانما تكون لا بقا السلم
واستمراره فانهم انما يقصدون تحمل دية القتل منع وقوع الحرب فالسبب
الداعي الى هذه غير السبب الداعي الى تلك على ان موضوعيهما مختلفان
ايضا من بعض الوجوه وان كانت بينهما مشابهة كما لا يخفى . ومن علامتهم
الاطالة في مثل هذه الخطب لان المقام داع الى الاطالة لا ترى الى قياس
ابن خارحة بن سنان لما ضرب المجذبة عنه مؤخره راحتي الحاملين
في شأن حمالة داحس والغبراء وقال مالي وبها ابها العشمتان فلا بل ما
عندك قال عندي قري كل ما زال ورضا كل ما خط وخطبه من لدن نطاع
الشمس الى ان تغرب امر فيها بالنواصل والهي عن النطاع قالوا فخطب
يوما الى الليل ثما اعاد فيها كلمة ولا معنى . فقبل لابي يعقوب راوى هذا
الخبر هلا اكتفى بالامر بالنواصل عن الهي عن النطاع او ليس الامر
بالصلة هو الهي عن النطاعة قال او ما علمت ان الكتابة والعريض لا
يعملان في العتول عمل الانصاح والكشف .

(خطبة المواهب)

واما خطب المواهب فلم أر في كلام الجاحظ ما يكشف الفناء عن
وجه المراد بها . على ان الجاحظ لم يتكلم في كتابه عن هذه الانواع
التي ذكرتها للخطب وانما جاءت هذه الاسماء عرضا في تضاعيف كلامه
فالنقطة من اما كن متفرقة من كتابه ولعل المراد بخطب المواهب

الخطب التي يستوهبون فيها الهبات ويطلبون الاعطيات عند وفودهم على الخلفاء والامراء كما وقع لهلال بن وكيع وزيد بن جبلة والاحنف ابن قيس عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد ذكر بشار بن عبد الحميد عن ابي ريمحانة قال وفد هلال بن وكيع والاحنف بن قيس وزيد بن جبلة على عمر فقال هلال بن وكيع يا امير المؤمنين انا لباب من خلفنا وغرة من وراءنا من اهل مصرنا فانك ان تصرقنا بالزيادة في اعطياتنا والفرائض لعيالاتنا يزيد ذلك الشريف تأميلا وتكن لذوى الاحساب ابا وصولا فانا ان نكن مع ما نمت به من فضائلك وندلى من اسبابك كالجد الذي لا يحل ولا يرحل نرجع بانف مصلومة وجدود طائفة فمحننا واهلينا بسجل من سجالك المترعة . وقام زيد بن جبلة فقال : يا امير المؤمنين سود الشريف واكرم الحبيب وازرع عندنا من اياديك مانسد به الخصاصة ونطرد به الفاقة فانا بقف من الارض يابس الا كفاف مقشعر الذروة لاشجر فيه ولا زرع وانا من العرب اليوم اذ أتيناك بمراى ومنمع . فقام الاحنف فقال : يا امير المؤمنين ان مفاتيح الخير بيد الله والحرص قائد الحرمان فاتق الله فيما لا يعنى غنك يوم القيامة قولا ولا قالا واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والانصاف شيأ يكفيك وفادة الوفود واستماعة المحتاج فان كل امرئ انما يجمع في وعائه الا الاقل ممن عسى ان تفتح له الاعين وتخونهم الالسن فلا يوفد اليك يا امير المؤمنين . ومما يصح ان يكون من خطب المواهب خطبة الهذيل بن زفر عند يزيد بن المهلب قال ابو الحسن دخل الهذيل بن زفر الكلابي على يزيد بن المهلب في حمالات لزمته ونوائب تابتة فقال اصلحك الله انه قد عظم شأنك عن ان يستعان عليك ولست تصنع شيأ من المعروف الا وانت اكبر منه وليس العجب بان تفعل ولكن العجب بان لا تفعل . فقال يزيد حاجتك فذكرها فامر بها وامر له بمائة الف درهم فقال اما الحمالات فقد قبلتها واما المال فليس هذا موضعه .

(خطبة يوم الحفل)

واما خطب يوم الحفل فهي الخطب التي يخطبونها اذا احتشدوا لامر قد اهمهم ونازلة المت بهم ونائبة نابتهم وغير ذلك من الامور في يوم الحفل هو يوم الاجتماع وهذا شبه شئ بما يسمى اليوم « متينك » في اللغات الاجنبية ولاشك ان يوم الحفل غير الموسم لان اجتماعهم في الموسم لا يكون الا في وقت معين خاص بخلاف اجتماعهم في يوم الحفل فلا يقال ان خطب الموسم داخلة في خطب يوم الحفل . وايضا ان خطب الموسم عامة لا تختص بامر من الامور بخلاف خطب يوم الحفل فانها لا تكون الا في امر خاص من الامور . وقد ذكرنا لك عند الكلام على الاشارة ان معاوية اراد ان يأخذ من الناس البيعة لابنه يزيد فاجتمع الناس وقامت الخطباء فكان ذلك يوم حفل وكانت الخطب فيه خطب يوم الحفل وقد ذكرنا لك هناك ايضا خطبة يزيد بن المقنع وهي خطبة اشارية ومما يصح ان يكون من خطب يوم الحفل الخطبة التي خطبها ابوبكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة وذلك ان الانصار والمهاجرين اجتمعوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة يتنازعون امرا الخلافة فقام حباب بن المنذر من الانصار فقال انا جديلمها المحكم وعذيقها المرجب ان شتم كررناها جذعة . منا امير ومنكم امير فان عمل المهاجري شيا في الانصار رد ذلك عليه الانصارى وان عمل الانصارى شيا في المهاجري رد ذلك عليه المهاجري . فاراد عمر الكلام فقال ابوبكر على رسلك نحن المهاجرون اول الناس اسلاما واوسطهم دارا واكرم الناس احسابا واحسنهم وجوها واكثر الناس ولادة في العرب وامسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن عليكم فاتم اخواننا في الدين وشركاؤنا في الفى وانصارنا على العدو آويتهم

ونعمره وآسينم جزا كماله خيرا نحن الامراء وانتم الوزراء ولا تدب العرب
الا لهذا الحى من قريش وانتم محفوقون ان تنفسوا على اخوانكم
من المهاجرين ماساق الله اليهم . وقال ان هذا الامر ان تطاوت اليه
الخزرج لم تقصر عنه الاوس وان تطاوت اليه الاوس لم تقصر عنه
الخزرج وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى وجراح لا تداوى فان نعق
منكم ناعق فقد جلس بين الحيين اسد يضمه المهاجري ويخرجه الانصارى .
فان ابن دأب فرماهم والله بالمسكة حتى فلولوا انا قد رضينا . فيوم
المنقبعة يوم حفل وخطبة كل من حباب بن المنذر وابى بكر الصديق
من خطب يوم الحفل .

(خدلية بين السباطين)

واما الخطب بين السباطين فليس فى كتاب الجاحظ ما يبينها والظاهر
انها الخطب التى يحفظونها بين القوم وقد اصطفوا صفين متقابلين
فان سباط القوم هو صميمهم يقال قام القوم حوله سباطين اى صفين
وقال مسى بين السباطين اى بين الصميمين من النوم . وقيل السباط هو
صف الجنود الذين يتقدمون بين مدى الملك وعليه فالخطب بين السباطين
هى الخطب التى يخطبونها عند الملوك والامراء . قايما بين صفين من الجنود
قد اصطفوا بين مدى الملك او الامير . واليك ما قاله سعيد بن مسلم الى
ارمينية قال كنت والى بارسية فعبير ابوزهمان العلافى على بابى اياما فلما
وصل الى مثل بين مدى قائما بين السباطين فقال والله ان لأعرف اقواما
لوعاءوا ان سفف التراب يقيم من أود احلابهم لجلود مسكة لازما فيهم
اينارا للثرد عن عيش رقيق الحواسى اما والله انى ليعيد الوثبة بطي
العطفة انه والله ما بشئنى عليك الا مثل ما يصرفنى عنك ولان اكون مقلدا
مقربا احب الى من ان اكون مكثرا مبعدا والله ما نسأل عملا لا تضبطه

ولا مالا الا نحر اكثر منه وهذا الامر الذى صار اليك فى يدك كان فى يد غيرك فامسوا والله حديثا ان خيرا فخير وان شرا فشر فتجيب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغض الله لانهم شهداء الله على خلقه ورقبائه على من اعوج عن هيله .

ومما يدل على ان الملوك والامراء كانوا اذ ذاك اذا قعدوا فى مجالسهم اقاموا حولهم سباطين اى صنفين من الجنود ما ذكره الخافظ فى كتاب البيان قال حدثني ابراهيم السندى فقال لما اى عبد الملك بن صالح وفد الروم وهو فى البلاد اقام على رأسه رحالا فى السباطين اثم قصر وهام ومناكب واجسام وسوراب وسعور فيناهم فباء بكلمونه ومنهم رجل وجهه فى قفا البطريق اذ عطس عطسة ضئيلة فاحظه عدائلك فلم بدر اى نى انكر منه فلما مضى الوفد قال له وبلت هلا اذا كنت ضيق المتحر كرك الحيشوم ابلغها بصيحة نخل بها قاب العليج . فهذا وما تقدم من حديث والى ارمينية يتبين لنا ماهو المراد بالسباطين وماهى خطبة بين السباطين

(خطبة التأين)

واما حطب التأين فاعلم ان التأين هو التاء على انيت كما ان التقريظ هو التاء على الحى فخطب التأين هى الحطب التى يقومون فيها على قبر من مات فيندبونه وبتون عليه بما هواهه ويعددون محاسنه فيكونه ويستبكون عليه وكان ذلك من عادتهم قديما . فمن ذلك تأين عائشة لابيها رضى الله عنهما وذلك انه لما توفى ابوبكر رضى الله عنه قامت عائشة على قبره فقالت نضر وجهك وسكر لك صالح سعيك فلقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها وان كان لاجل الارزاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك واكبر المصائب فقدك وان

كتاب الله ليعد بجميل الغزاء حسن العوض منك فاتجز من الله مواعده
فيك بالصبر عنك واستخاضه بالاستغفار لك .

وقامت فرغانة بنت اوس بن حجر على قبر الاحنف بن قيس وهي
على راحلة فقالت انا لله وانا اليه راجعون رحمك الله ابا بحر من مجن
في جنن ومدرج في كفن فوالذي ابتلاني بفقدك وبلغنا يوم موتك لقد
عشت حميدا ومت فقيدا ولقد كنت عظيم الحلم فاضل السلم رفيع العماد
واري الزناد منيع الحرم سليم الاديم وان كنت في المحافل لشريفا وعلى
الارامل لعطوفا ومن الناس لقريبا وفيهم لغريبا وان كنت لمسودا والى
الحلفاء لموفدا وان كانوا لقولك نسمعين وارأيك يتبين . ثم انصرفت .
وحدث اسماعيل بن عليه قال حدثنا زياد بن ابي حسان انه شهد
عمر بن عبدالعزيز حين دفن ابنه عبد الملك فلما سوى عليه قبره بالارض
وجعلوا على قبره خشبتين من زيتون احداها عند رأسه والاخرى
عند رجله ثم جعل قبره بينه وبين القبلة واستوى قائما واحاط به الناس
قال رحمك الله يا بني فقد كنت برا بابيك ومازلت مذوهابك الله لي بك
مسرورا ولا والله ما كنت قط مسرورا بك ولا ارجى لحظي من الله
فيك منذ وضعتك في الموضع الذي صيرك الله اليه فغفر الله لك ذنبك
وجازاك باحسن عملك وتجاوز عن سيئاتك ورحم الله كل شافع يشفع لك
بخير من شاهد وغائب رضيانا بقضاء الله وسلمنا لامره فالحمد لله رب العالمين .
ثم انصرفت .

ومات ذر بن ابي ذر الهمداني من بني مرهبة وهو ذر بن عمر بن ذر
فوقف ابوه على قبره فقال يا ذر والله ما بنا اليك من فاقة وما بنا الى
احد سوى الله من حاجة يا ذر شغلني الحزن لك عن الحزن عليك ثم قال
اللهم انك وعدتي بالصبر على ذر صلواتك ورحمتك اللهم وقد وهبت
ما جعلت لي من اجر على ذر لذر فلا تعرفه قيسحا من عمله اللهم وقد

وهبت له اساءته الى فهب لي اساءته الى نفسه فانك اجود واكرم .
فلما انصرف عنه التفت الى قبره فقال يا ذر قد انسرنا وتركناك ولو
اقنا ماتفناك .

واصيبت اعرابية بابنها وهي حاجة فلما دفنته قامت على قبره وقالت
والله يا بنى لقد غذوتك رضيعا وفقدتك سريعا وكأنا لم يكن بين الحالين
مدة التذ بعيشك فيها فاصبحت بعد النضارة والفضارة وروني الحياة
والنسم في طيب روائحها تحت اطباق الثرى جدا هامدا ورفاتا سحيقا
وصيدا جرزا . اى بنى لقد سحبت الدنيا عليك اذيال القنا واسكتك
دار البلى ورميتني بعدك نكبة الردى . اى بنى لقد اسفر لي عن وجه
الدنيا صباح داج ظلامه ثم قالت اى رب ومنك العدل ومن خلقك
الجور وهبت لي قرة عين فلم تمتعني به كثيرا بل سلبتني وسبكتني امرتني
بالصبر ووعدتني عليه الاجر فصدقت وعدك ورضيت قضاءك فرحم الله
من تراحم على من استودعته الردم ووسدته الثرى اللهم ارحم غربته
وآنس وحشته واسترعورته يوم تكشف الهنات والسوآت . فلما ارادت
الرجوع الى اهلها قالت اى بنى انى قد تزودت لسفري فليت شعري
ما زادك ابعد طريقك ويوم معادك اللهم انى اسألك له الرضا برضائى عنه
ثم قالت استودعتك من استودعتك فى احشائى جنيئا .

وانكل الوالدات مامض حرارة قلوبهن واقاق مضاجعهن واطول
ليلهن واقصر نهارهن واقل النسهن واشد وحشتهن وابعدهن من
السرور واقربهن من الاحزان .

(خطبة الموسم)

الموسم هو المجتمع سمي به لانه معلم يجتمع اليه وقد كثر استعماله
لوقت اجتماع الحاج وسوقهم في مكة . ولقد كان للعرب اسواق يقيمونها

في اوفات معينة وينتقلون من بعضها الى بعض لايع والنراء وكان
يخسرها العرب بما عندهم من المآر والمفاخر ويتأندون الاسعار ويلقون
الخطب ويتحكون فيها الى قضاء نصبوا انفسهم لتقد الشعر وبيان غته
من حينه وتفضل ساعر على آخر فكانوا يفضلون من سهلت عبارته
وكن لها التعيب الاوفر من النصاحة وحسن البيان مع التجرز من
العيب والابتداء من التقص وتخبرون في خطبهم وانسعارهم من لغات
العرب ما حلا في الذوق وخف على السمع فكانت هذه الاسواق ابدية
علمية ومجتمعات ابوية ادبية توصل بها العرب الى تهذيب انفسهم لفظا
واسلوبا وجعل لغة الشعر والخطابة لغة واحدة بين جميع القبائل . فمن
هذه الاسواق اشبه وذوا نخار وعكاظ واسهرها سوق عكاظ وهي موسم
للعرب من اعظم مواسمهم وعكاظ نعل في وادي بين ثغلة والطائف
من بلاد الحجاز وبني وبين الطائف عسرة اميال فكانوا يتبايعون في
هذه السوق وينتقلون ويتفاحرون ويتحاحون وينشد الشراء ما يجدد
انهم وقد كبر ذلك في اسماهم كقول حسان

سأسر ان حلت انهم كلاما بدري في اشنه مع عكاظ

وفي عكاظ كن خطاب كل خطب مصقع وكان كل شريف انما يخضر
سوق بلده الاسوق عكاظ فانهم كانوا ينوون بها من كل جهة فمن كان
له اسير سبي في فدانا ومن كانت له حكومة ارفع الى الذي تقوم بامر
الحكومة . وكانت هذه السوق تقوم من اول ذي الحجة الى العشرين منه
على المشهور واتخذت عكاظ سوقا بعد عام النبل بحمس عشرة سنة وتركت
بعد ان نهبا الخوارج ستة ذبوع وعشرين ومائة .

فخطب الموسم هي الخطب التي كانوا يخطبون فيها في هذه الاسواق وغيرها
من المواسم . وكانوا يخطبون في الموسم وهم على رواحلهم قال ابو
عبيدة وكانت العرب تخطب على رواحلها وكذلك روى النبي صلى الله

عليه وسلم عن قس بن ساعدة على ما ذكره ابن العربي في المسامرات حيث قال ان الجارود بن عبدالله لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد عبدالقيس قال له انبي صلى الله عليه وسلم يا حارود هل في جماعة وفد عبدالقيس من يعرف ثاقباً قال كلنا نعرفه يا رسول الله وانا من بين قومي كنت افقوا اثره واطلب خبره واخذ يصف للنبي صلى الله عليه وسلم قسا وانشد في آخر كلامه اياها فما اتمها حتى قال له انبي صلى الله عليه وسلم على رسالك يا حارود فلست اساء بسوق عكاظ على جمال له اوراق وهو يتكلم بكلام موقوف ما نطق اني احفظه فهل فيكم من يحفظ انا منه شيئاً . معانير المهاجرين والانصار فوبى ابو بكر رضى الله عنه فاثماً وقال يا رسول الله اني احفظه ثم ذكر كلامه وسند ذكر هذه الخطبة في محلها .

وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم خطبة حجة الوداع في عرفة وهو على راحلته كما ذكر ذلك ابن العربي ايضا حيث قال عند ذكر حجة الوداع حتى اذا زالت الشمس امر صلى الله عليه وسلم مناقته القصوى فرحلت له ثم اتى بطن الوادي فخطب الناس على راحلته . وقد ذكر الجاحظ هذه الخطبة وهي هذه .

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اوصركم عباد الله بنفوى الله واحثكم على طاعته واستفتح بالذي هو خير . اما بعد ايها الناس اسمعوا مني اين لكم فاني لا ادري اعلى لا اقلاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا . ايها الناس ان دماءكم واموالكم حرام عليكم الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الا اهل بلغت اللهم اشهد فمن كان عنده امانة فليؤدها الى من ائتمه عليها . وان ربا

الجاهلية موضوع وان اول ربا ابدأ به رباعى العباس بن عبدالمطلب
وان دماء الجاهلية موضوعة وان اول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة [*]
ابن الحارث بن عبدالمطلب وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة
والسقاية . والعمد قود وشبه العمدة مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة
بغير فمن زاد فهو من اهل الجاهلية . ايها الناس ان الشيطان قديئس ان
يعبد في ارضكم هذه ولكنه قد رضى ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون
من اعمالكم . ايها الناس ان النسي زيادة في الكفر يضل به الذين
كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله . وان الزمان قد
استدار كهيته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله
اثني عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها اربعة
حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب
الذي بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت اللهم اشهد . ايها الناس ان لنسائكم
عليكم حقا ولكم عليهن حق لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم غيركم
ولا يدخلن احدا تکرهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين فاحشة فان فعان
فان الله قد اذن لكم ان تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن
ضربا غير مبرح فان انتهين واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف
وانما النساء عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله فانقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا
ألا هل بلغت اللهم اشهد . ايها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئ
مال اخيه الا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن
بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فاني قد تركت فيكم ما ان اخذتم
به لم تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت اللهم اشهد . ايها الناس ان ربكم

[*] قوله دم عامر بن ربيعة كان عامر مسترضعا في بني سعد بن بكر بن
هوازن فقتله هذيل وذكر النسابة انه كان صغيرا يحبو امام البيوت وكان
اسمه آدم فاصابه حجر عابر اوسهم من غرب من يد رجل من بني هذيل فمات .

واحد وان اباكم واحد كلکم لا آدم وآدم من تراب اكرمکم عندالله
اتقاکم وليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم
اشهد . قالوا نعم قال فليبلغ الشاهد الغائب . ايها الناس ان الله قد قسم
لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لو ارث وصيته ولا يجوز وصيته
في اكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى الى غير ابيه
او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه
صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله .

ومن خطب الموسم خطبة قس بن ساعدة التي خطبها في عكاظ وهو
على راحلته كما مر آنفا فقال ايها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا من عاش
مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت . وقال في هذه آيات محكمات
مطر ونبات وآباء وامهات وذاهب آت ونجوم تمور وبحور لا تغور
وسقف مرفوع ومهاد موضوع وليل داج وسما ذات ابراج مالى ارى
الناس يموتون ولا يرجعون أرضوا فاقاموا ام حبسوا فناموا . وقال يا
معشر اباد أين نمود وعاد وأين الآباء والاجداد وأين المعروف الذي لم
يشكر والظلم الذي لم ينكر اقسم قس قسما بالله ان الله دينا هو ارضى له
من دينكم هذا وانشأ يقول

في الداهين الاولين	من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	تمضي الا كابروا الا صاغر
لا يرجع الماضي ولا	يبقى من الباقيين غابر
ايقت أنى لا محالة	حيث صار القوم صائر

هكذا ذكر الجاحظ هذه الخطبة وقد ذكرها ابن العربي في المسامرات
اطول وفيها زيادة على ما ذكره الجاحظ .

ومن خطب الموسم خطبة لابن عباس اجاب بها عمرو بن العاص

وذلك ان عمرو بن العاص قام بالموسم فاطرى معاوية وبني امية وناول بني هاشم ثم ذكر مشاهد بصفين فقام ابن عباس فقال يا عمرو انك لعت دينك من معاوية فاعطيته ما في يدك ومناك ما في يد غيره فكان الذي اخذ منك فوق الذي اعطاك وكان الذي اخذت منه دون ما اعطيته وكل راض بما اخذ واعطى فلما صارت مصر في يدك نبتك فيها بالعزل والنتقص حتى لو ان نفسك فيها النينها اليه . وذكرت مشاهدك بصفين فما ثقات علينا يومئذ وطأنك ولا نكسنا فيها حرك وان كنت فيها لطويل اللسان قصير اللسان آخر الحرب اذا اقبلت واواها اذا ادبرت . لك بدان بد لا تبسطها الى خير وبد لا تقبضها عن سر ووجهان وجه مؤنس ووجه موحش واعمرى ان من باع دبنه بديا غيره لحرى ان يطول حزنه على ما باع واسترى . لك بيان وفك خطل ولك رأى وفك نكد ولك قدر وفك حسد فاصغر عيب يك اعظم عيب في غيرك . فقال عمرو اما والله ما في قریش احد اقل وطاة على منك ولا لاحد من قریش قدر عندي مثل قدرك .

(خطبة النكاح)

ومن الخطب خطبة النكاح فقد كانوا اذا خطبوا امرأة واجتمعوا عند وليها لاجل الاملاك ينخطب احدهم فيتكلم بما يرغب ولي المرأة في الخطيب من مدحه والثناء عليه فيجيبه الولي بالقبول وبذلك يتم الاملاك والسنة عندهم في خطبة النكاح ان يطيل الخطيب ويقصر الجيب . ومن عادتهم في خطبهم كلها انهم ينخطبون وهم قيام الا في خطبة النكاح فان الخطيب ينخطب وهو قاعد وقد روى ابو مخنف عن الحارث الاعور قال والله لقد رأيت عليا وانه ليخطب قاعدا كقائم ومحاربا كسالم . يريد بقوله قاعدا خطبة النكاح وقال الهيثم بن عدي لم تكن الخطباء تنخطب

قعودا إلا في خطبة النكاح . وكانت خطبة النكاح اشق عليهم من غيرها
من الخطب ومقام الخطيب فيها اخرج فلا يقدم عليها الا من كان في بيانه
ابرع وعلى القول في المقام الضنك اجرا ولذلك قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ما يتصعدني كلام كما تصعدني خطبة النكاح . ومما يذكر
في هذا الباب ما نشد ابن الاعرابي لأبي مسهر العكلي من قوله

لله در عامر اذا نطق في حفل املاك وفي تلك الخلق
ليس كقوم يعرفون بالشدق من خطب الناس ومما في الورق
يلفقون القول تلفيق الحاق من كل نصاح الذفاري بالعرق
اذا رمت الخطباء بالحدق

والذفاري جمع الذفري والذفريان للبعير وهما اللحمتان في قفاء وقد
عنى الشاعر بالذفاري هنا بدن الخطيب لأن عرق الخطيب في أثناء الخطبة معيب
عندهم كما قد ذكرناه في معاييب الخطيب وإنما خص الشاعر خطب
الاملاك بالذكر لأنهم يذكرون أنه يعرض للخطيب فيها من الحصر
أكثر مما يعرض لصاحب المنبر ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ما يتصعدني كلام كما تصعدني خطبة النكاح .

وقد سئل ابن المقفع عن قول عمر هذا فقال ما عرفه إلا ان يكون
اراد قرب الوجوه من الوجوه ونظر الحداق من قرب في اجواف الحداق
ولأنه اذا كان جالسا معهم كانوا كأنهم نظراء واكفاء واذا علا المنبر
صاروا سوقة ورعية قال الجاحظ وقد ذهب ذاهبون الى ان تأويل قول
عمر يرجع الى ان الخطيب لا يجد بدا من تزكية الخطيب فلعنه كره ان
يمدحه بما ليس فيه فيكون قد قال زورا وغر القوم من صاحبه قال
ولعمري ان هذا التأويل يجوز اذا كان الخطيب موقوفا على الخطابة
فاما عمر بن الخطاب رضي الله عنه واشباهه من الأئمة الراشدين رضوان الله
عليهم اجمعين فلم يكونوا ليتكلفوا ذلك الا فيمن يستحق المدح . قلت اما

كون الأئمة الراشد بن لم يتكلموا ذلك إلا فيمن يستحق المدح فغير مسلم
لأن الخلفاء الراشدين لم ترفعهم الخلافة عن مخالطة العامة فلو دعاهم في العامة
رجل من عرض الناس الى الخطبة لما ترفعوا عن اجابته كما هو معلوم
من سيرتهم الراشدة

وها نحن نأنيك بتف من خطب النكاح مما عثرنا عليه في تضاعيف
كلام الجاحظ في كتاب البيان لتعلم بذلك ولو مجملا كيف كانوا يخطبون
في النكاح . فمن ذلك ما روى عن الحسن البصري انه كان يقول في خطبة
النكاح بحمد الله والثناء عليه اما بعد فان الله جمع بهذا النكاح الارحام
المنقطعة والانساب المتفرقة وجعل ذلك في سنة من دينه ومنهاج واضح
من امره وقد خطب اليكم فلان وعليه من الله نعمة .

ولما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يتزوج خديجة رضى الله عنها وذهب
صلى الله عليه وسلم هو وعمه ابو طالب وزمرة من رجال قريش وبني
هاشم يخطبون لها من عمرو بن خويلد عمها خطب ابو طالب خطبة النكاح
فقال :

الحمد لله الذي جعلنا من فدية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد
وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمة وجعل لنا بيتا محجوجا
وحرما آمنا وجعلنا الحكم على الناس ثم ان ابن ابي هذا محمد بن
عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به شرقا ونبلأ وفضلا وعقلا . فان
كان في المال قتل فان المال ظل زائل وامر حائل وعارية مسترجعة . وهو
والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم . ومحمد من قد عرقم
قربته وقد خطب اليكم راغبا في كريمكم خديجة بنت خويلد وبذل
لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتا عشرة اوقية ونش . والش نصف
الاوقية وكذا نصف كل شئ يقال نش الدرهم ونش الرغبة اي نصفه
وكانت الاوقية عند العرب اربعين درهما .

ولما سكت ابو طالب اجابه ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة فقال : الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على من عددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم اهل ذلك كله لا ينكر العرب فضلکم ولا يرد احد من الناس فخرکم وشرفکم وقد رغبنا في الاتصال بجلکم فاشهدوا على معاشر قريش اني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد ابن عبدالله على ما ذكر من المهر . ثم سكت فقال له ابو طالب اني احببت ان يشركك عمها . يعنى عمرو بن خويلد فقال عمرو اشهدوا على يا معاشر قريش اني قد انكحت محمد بن عبدالله خديجة بنت خويلد ثم قال هو النحل لا يقرع انفة . وهو مثل تصره العرب للشریف الذي اذا خطب كريمة قوم لا يردونه .

وخطب محمد بن الوليد بن عتبة الى عمر بن عبدالعزيز اخته فقال عمر الحمد لله رب العزة والكبرياء وصلى الله على محمد خاتم الانبياء : اما بعد فقد احسن بك ظنا من اودعك حرمة واحتراك ولم نختر عليك وقد زوجناك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان . وكان لخالد بن صفوان مولى فقال له يوما زوجني امك فلانة قال قد زوجتكها قال أفادخل الحى حتى بحضور الخطبة فقال ادخلهم فلما دخلوا ابتدا خالد فقال : اما بعد فان الله اعز واجل من ان يذكر في نكاح هذين الكلين وقد زوجنا هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة . وقال ابو الحسن خطب مصعب بن حيان اخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم قول لا اله الا الله فقالت ام الجارية عجل الله موتك ألهذا دعوناك . وكانت قريش في الجاهلية تخطب خطبة النكاح هكذا باسمك اللهم ذكرت فلانة وفلان بها مشغوف باسمك اللهم لك ما سألت ولنا ما اعطيت .

والغالب ان يكون الخطيب في خطبة النكاح غير الخاطب لان الخاطب

إذا كان هو الخطيب لنفسه اضطر الى تركية نفسه ومدحها وذلك مما لا يستحسن وربما كان الحاطب هو الخطيب كما وقع ذلك للفضل الرقاشي فانه خطب الى قوم من بني تميم فخطب هو خطبة النكاح فلما فرغ قام اعرابي منهم فاجابه قائلا توسلت بحرمة وواليت بحق واستتدت الى خير ودعوت الى سنة فغرضك مقبول وما سألت مبذول وحاجتك مقضية ان شاء الله تعالى . قال الفضل لو كان الاعرابي حمدا لله في اول كلامه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم لفضحتني يومئذ . اى ان هذا الاعرابي الذي اجاب الفضل قد ترك الحمد في اول كلامه فجاءت خطبته ببراء وترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت خطبته ستوهاء ولولا ذلك لكان في خطبته هذه اخطب من الفضل لان ترك الحمد والصلاة في اول الخطبة معيب عندهم كما سند كره في المبحث الآتي

المبحث الثامن

فيما يلحق الخطب من البتر والشوه عندهم

كان خطباء العرب اذا خطبوا يستفتحون الكلام بحميد الله تعالى وتمجيدده ويتبعون ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما انهم كانوا يستحسنون ان يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع آى من القرآن فان ذلك عندهم مما يورث الكلام البهاء والوقار والركة وحسن الموقع . قال الهيثم قال عمران بن حطان اول خطبة خطبتها عند زياد فاعجب بها زياد وشهداها عمى وابى وقد ظننت انى لم اقصر فى تلك الخطبة عن غاية ولم ادع لطاعن من عالة ثم انى مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم هذا الفتى اخطب العرب لو كان فى خطبته شئ من القرآن . اما الخطبة التى لم يستفتح صاحبها كلامه فيها بالحمد فقد كانوا يصفونها بالبتر فيقولون خطبة براء ومنه « خطب زياد خطبته البراء » وسند كره

هذه الخطبة كما انهم كانوا يصفون بالشوه الخطبة التي لم يزينها صاحبها
بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوشحها بأى من القرآن فيقولون
خطبة شوهاء . قال الجاحظ في كتاب البيان وما زالوا يسمون الخطبة
التي لم يبتدأ صاحبها بالتحميد ويستفتح كلامه بالتمجيد البتراء ويسمون
التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الشوهاء
قال وخطب اعرابي فلما اعجبه بعض الامر عن التصدير بالتحميد
والاستفتاح بالتمجيد قال : اما بعد بغير ملال لذكر الله ولا ايتار غيره
عليه فانا نقول كذا ونسأل كذا . فرارا من ان تكون خطبته بتراء . وكذلك
فعل تيب بن شبة في احدى خطبه حيث قال : الحمد لله وصلى الله على
رسوله اما بعد فانا نسأل كذا ونبذل كذا . فاختصر الحمد والصلاة
في اول كلامه فرارا من ان تكون خطبته بتراء وشوهاء . وخطب
زياد بالبصرة خطبة لم يبتدأ فيها بحمد الله فاشتهرت بالبتراء وهى من
غرد الخطب المشهورة . قال ابو الحسن المدائنى راويا عن مسلمة بن
محارب وعن ابى بكر الهمذلى قالا قدم زياد البصرة واليا لمعاوية بن
ابى سفيان وقد ضم اليه خراسان وسجستان والفسق بالبصرة يومئذ
كثير فاش قالا فخطب خطبة بتراء لم بحمد الله فيها وقال غيرها بل قال
الحمد لله على افضاله واحسانه ونسأله المزيد من نعمه واكرامه اللهم كما
زدتنا نعماً فالهمنا شكراً : اما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء
والنقى الموفى باهله على النار مافيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من
الامور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرأ
كتاب الله ولم تسمعوا ما اعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب
الاليم لاهل معصيته فى الزمن السرمدى الذى لا يزول أتكفونون كمن
طرفت عينيه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار القانية على الباقية
ولا تذكرون انكم احدثتم فى الاسلام الحدث الذى لم تسبقوا اليه من

ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله . هذه المواخير المنصوبة والضعيفة
 المسلوقة في النهار المبصر والعدد غير قليل ألم تكن منكم نهاية تمنع
 الغواة عن دجل الليل وغارة النهار قريبتم القرابة وباعدتم الدين تعتذرون
 بغير العذر وتفضون على المحتلس . كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنيع
 من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا ما اتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء
 فلم يزل بكم ماترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم
 اطرقوا وراءكم كنوسا في مكائس الريب . حرام على الطعام والشراب
 حتى اسوها بالارض هدماء واحراقا . انى رأيت آخر هذا الامر لا يصلح
 الا بما صلح به اوله لين في غير ضعف وسدة في غير عنف وانى اقسم
 بالله لا آخذن الولي بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدير والمطيع بالعاصي
 والصحيح منكم في نفسه بالسفيم حتى يلقي الرجل منكم اخاه فيقول
 انج سعد فقد هلك سعيد او تستقيم قاتكم . ان كذبة المنبر ببقاء مشهورة
 فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي فاذا سمعتموها منى
 فاعتمزوها في [*] واعلموا ان عندي امثالها . من نقب منكم عليه
 فانا ضامن لما يذهب منه فإياي ودجل الليل فاني لا اوتى بدجل الاسفكت
 دمه وقد اجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع اليكم .
 وإياي ودعوى الجاهلية فاني لا اجد احدا داعياها الا قطعت لسانه . قد
 احدثتم احداثا لم تكن وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما
 غرقناه ومن احرق قوما احرقناه ومن نقب بيتا نقبناه عن قلبه ومن نبش
 قبرا دفناه حيا فيه فكفوا عن ايديكم وألسنتكم اكفف عنكم يدي
 ولساني ولا تظهر من احد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتهم الا ضربت
 عنقه . وقد كانت بيني وبين اقوام احن فجعلت ذلك دبر اذنى وتحت
 قدمي فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان منكم مسيئا فليزغ
 [*] قوله فاعتمزوها اي فاطعنوا على بها يقال فعلت شيئا فاعتمزه فلان اي
 طعن على فيه .

من اساءته . انى لو علمت ان احدكم قد قتله السل من بغضى لم اكشف له قناعا ولم اهتك له ستر حتى يبدي لى صفحته فاذا فعل ذلك لم اناظره فاستأنفوا امورك واعينوا على انفسكم قرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس . ايها الناس انا اصبحتنا لكم ساسة وغنكم ذادة بسوسكم بسلطان الله الذى اعطانا ونذود عنكم نبي الله الذى خواتنا فاذا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وقيامنا بمناصحتكم لنا واعلموا انى مهما قصرت عنه فلن اقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولوانانى طارقا بليل ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن ابائه ولا مجمرا [١] لكم بعشا فادعوا الله بالصالح لا تمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذى اليه تاوون ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغصهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا ندركو له حاجتكم مع انه لو استحب لكم فيهم لكان شرا لكم اسأل الله ان يعين كلا على كل واذا رأيتونى انفذ فيكم الامر فانفذوه على اذلاله وايم الله ان لى فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم ان يكون من صرعى . قال فقام اليه عبدالله بن الاهتم فقال اشهد ايها الامير لقد اوتيت الحكمة وفصل الخطاب فقال له كذبت ذاك نبي الله داود صلوات الله عليه قال فقام الاحنف بن قيس فقال انما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وانا ان ثنى حتى نبلى فقال له زياد صدقت فقام ابوبلال مرداس بن امية وهو يهمس ويقول انبأنا الله بغير ما قلت قال الله وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ماسعى وانت تزعم انك تأخذ البرى بالسقيم والمطيع بالعاصى والمقبل بالمدير . فسمعها زياد فقال له انا لا تبلغ ما تريد فيك وفى اصحابك حتى نخوض اليكم الباطل خوفا .

[١] قوله ولا مجمر لكم بعناى ولا حابسا لكم جيشا فى ارض العدو يقال جمر الجيش اى حبسهم فى ارض العدو ولم يقفلهم من الثغر وفى الحديث لا تجمروا الجيش فتفتنهم .

وزياد هذا كان من مشاهير خطباء العرب وكان كلما اطال الكلام زاد اجادة فيه . فقد روى عن خلاد بن يزيد الارقط انه قال سمعت من يخبر ان الشعبي قال ما سمعت متكلماً على منبر قط تكلم فاحسن الا احببت ان يسكت خوفاً من ان يسيء الا زيادا فانه كان كلما اكثر كان اجود كلاماً . وقال ابو الحسن المدايني قال الحسن اوعده عمر فعضاً واوعده زياد فابتلى قال وقال الحسن ايضاً تشبه زياد بعمر فافرط وتشبه الحجاج بزياد فاهلك الناس .

المبحث التاسع

ف

تمثل الخطباء بالشعر

ان جميع خطباء العرب من اهل المدر والوبر على ضريين ومنها الطول ومنها القصار والخطب الطوال اكثر مئة للتمثل بالشعر فيها لان الطول داع الى ذلك غير ان الجاحظ قد صرح في كتاب البيان بان اكثر الخطباء لا يتمثلون في خطبهم الطوال بشيء من الشعر وانهم لا يكرهونه في الرسائل الا ان تكون الى الخلفاء . قل وسمعت مؤمل بن خاقان يخطب وذكر في خطبته تيم بن مر فقال ان تيماله الشرف القديم والسودد والعز الاقص والعدد الهیضل وهي في الجاهلية القدم والازوة والسنام وقد قال الشاعر .

فقلت له وانكر بعض شائي ألم تعرف رقاب بني تيم

قال وكان صالح المري القاص العابد البليغ كثيراً ما ينشد في قصصه وفي مواعظه هذا البيت .

فبات يروى اصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل

وانشد الحسن في مجلسه وفي قصصه وفي مواعظه

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء

قال وانشد عبدالصمد بن الفضل بن عيسى بن ابان الرقاشي الخطيب القاص
الشجاع اما في قصصه واما في خطبة من خطبه

ارض تخيرها لطيب مقلها كعب بن مامة وابن ام دؤاد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
فارى النعيم وكل مايلهم به يوما يصير الى بلى وتفاد

وقال ابوالحسن خطب عبدالله بن الحسن على منبر البصرة في العيد فانشد
في خطبته

اين الملوك التي عن حظها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقيا
تلك المدائن بالآفاق خالية امست خلاء وذاق الموت بانها

ومن الخطب التي انشد فيها صاحبها خطبة عبدالله بن همام السلولى التي
هنا بها يزيد بن معاوية بالخلافة وعزاء عن ابيه قال :

يا امير المؤمنين آجرك الله على الرزية وبارك لك في العطية واعانك على
الرعية فلقد رزئت عظيما واعطيت جنسيا فاشكر الله على ما اعطيت
واصبر على مارزيت فقد فقدت الخليفة واعطيت الخلافة ففارقت جليلا
ووهبت جزيلا قضى معاوية نجه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسة فاعطيت
السياسة فاوردك الله موارد السرور ووقفك لصالح الامور وانشأ يقول

اصبر يزيد فقد فارقت ذا كرم واشكر ابناء الذي بالملك اصفاك
لارزء اصبح في الاقوام قد علموا كما رزئت ولا عفى كعباك
اصبحت راعى اهل الدين كلهم فانت ترعاهم والله يرعاك
وفي معاوية الباقي لنا خلف اذا نعت ولا نسمع بمنعاك

ومن الخطب التي انشد فيها صاحبها متمثلا خطبة الحجاج التي خطبها

لما قدم الكوفة واليا . قال الجاحظ حدثني محمد بن يحيى بن علي عن
عبد الحميد عن عبد الله بن ابي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال خرج
الحجاج يريد العراق واليا عليها في اثني عشر راكبا على التجائب حتى
دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار وقد كان بشر بن مروان بعث
المهاب الى الحرورية فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو
متلم بعمامة خز حمراء فقال : علي بالناس فحسبوه واصحابه خوارج فهموا
به حتى اذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

اما والله اني لاحتمل الشر بحلمه واحذود بنعله واجزيه بمثله وانى
لارى رؤسا قد اينعت وحن قاطفها وانى لصاحبها وانى لا نظر الى
الدماء تفرق بين العمام واللحا « قد سمرت عن ساقها فشمري » ثم قال

هذا اوان الشد فاستدى زيم قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غم ولا بجزار على ظهر وضم

قال ايضا

قد لفها الليل بعصايّ اروع خراج من الدوى
مهاجر ليس باعرا بى

انى والله يا اهل العراق والشقاق والتفاق ومساوى الاخلاق ما اغمر
تغمار التين ولا يقعق لى بالشان ولقد فدرت عن ذكاء وقتشت عن
تجربة وجريت من الغاية ان امير المؤمنين كب كنياته ثم عجم عيد انها
فوجدنى امرها عودا واصلبها عمودا فوجهنى اليكم فانكم طالما اوضعتم
فى الفتن واضطجعتم فى مراقد الضلال وستتم سنن النى اما والله لالحونكم
لحو العصا ولا عصبنكم عصب السلمة ولا ضربنكم ضرب غرائب الابل
فانكم لكاهل قرية كانت آمنة مطمئة ياتيها رزقها رغدا من كل

مكان فكفرت بأنتم الله فإذا قم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .
أنى والله لا أعد الأوفيت ولا أهم إلا أمضيت ولا أخلق الأفريت فإياى
وهذه الجماعات وفالا وقبلا وما نقول وفيهم أتم وذلك . أما والله لتستقيمن
على طريق الحق أولاد عن لكل رجل منكم سحلا فى جسده . من وجدت
بعد ثلاثة من بعث المنهال سفكت دمه وانتهت ماله ثم دخل منزله .

وللهججاج خطبة أخرى أنشد فيها أيضا قال المهيم بن عدى قال
أنبأني ابن عياش عن أبيه قال خرج الحجاج يوما من القصر بالكوفة
فسمع تكبيرا فى السوق فراع ذلك فصعد المبر فحمد الله وأثنى عليه
وصلى على نبيه ثم قال يا أهل العراق يا أهل الشقاق والتعاق ومساوى
الأخلاق وبني اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الأماء والفقع بالقرفر أنى
سمعت تكبيرا لا يراد به الله وإنما يراد به الشيطان وإنما مثلى ومثلكم
ما قال عمرو بن براق الهمداني .

وكنت اذا قوم غزوني غزوتهم فهل انا فى ذايال همدان ظالم
متى تجمع القاب الذكى وصارما وانفا حيا تجتنبك المطالم
أما والله لا تقرع عصا عصا إلا جعلتها كأمس الدابر .

المبحث العاشر

فى

منزلة الخطيب والشاعر عند العرب

لا نريد هنا ان نحكم حكما باتا فيما بين منزلتى الخطيب والشاعر من
التفاضل حتى يتعين بذلك أيهما أعلى منزلة من الآخر لأن ذلك ليس
من غرضنا ههنا ولأنه داع الى التطويل الذى ليس لنا من الوقت ما يسهه .
سوى ان الحكم العام فى هذه المسألة هو ان المجتمع الانسانى محتاج الى
كليهما ولكن هذا الاحتياج قد يتفاوت فى الدرجات بسبب ما يعرض له

من الزيادة والتقصان فربما يطرأ من الأحوال ويحدث من الأمور ما تكون الحاجة فيه الى الشاعر اشد فيعلو على الخطيب منزلة وبالعكس . وايضا قد يطرأ على اهل الشعر او اهل الخطابة من الأحوال ما يستوجب علو منزلة احد الفريقين على الآخر .

اما العرب فقد كانوا اشد الالم اهتماما بشعرائهم وخطبائهم حتى لقد كان لكل قبيلة شاعر وخطيب وكانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر اتها القبائل تهنيئاً به . وقد كان الشعراء عندهم اعلى منزلة من الخطباء ولكنهم لما تبذلوا في الشعر انحطت منزلتهم وصارت منزلة الخطباء اعلى من منزلتهم . قال الجاحظ قال ابو عمرو بن العلاء كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهاجم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوق وتسرعوا الى اعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ولذلك قال الاول « الشعر ادنى مروءة السرى واسرى مروءة الدنى » قال ولقد وضع قول الشعر من قدر الثابتة الديباني ولو كان في الدهر الاول ما زاده الا رفعة اهـ وقد زعم جرجي زيدان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » ان محيي الاسلام هو السبب في تقديم الخطيب على الشاعر . وهذا خطأ فاحش منه والصواب ما قاله ابو عمرو بن العلاء الذي هو اعلم الاولين والآخرين باخبار العرب واحوالهم وناهيك برجل فيه يقول الفرزدق الذي هو كما قال يونس لولا شعر الفرزدق لذهب نصف اخبار الناس

مازلت افتح ابوابا واغلقها حتى اتيت ابا عمرو بن عمار

وفي ابى عمرو هذا يقول مكى بن سودة

الجامع العلم تنسأ ويحفظه والصادق القول ان انداده كذبوا

المبحث الحادى عشر

ف

ان الخطيب قد يكون شاعرا ايضا

ليس هناك فرق كبير بين صناعة الخطيب وصناعة الشاعر اذ كلتا الصناعتين شعرية ادبية فكلا الرجلين من خطيب وشاعر يقولان الشعر غاية ما هنالك ان شعر احدهما موزون وشعر الآخر غير موزون . ومع ذلك فان مواقعهما مختلفة فالشاعر مواقف لا يقفها الخطيب وللخطيب مواقف لا يقفها الشاعر ومن اجل ذلك اختلف منزلتهما في المجتمع الانسانى وحاز ان يقع التفاضل بين منزلتهما .

وربما اجتمعت الصناعتان في شخص واحد فكان خطيبا وشاعرا قال الجاحظ وفي الخطباء من يكون شاعرا ويكون اذا تحدث او وصف او احتج بليغا مفوها بيتا وربما كان خطيبا فقط وشاعرا فقط وبين اللسان فقط اه والذى يفهم من كلام الجاحظ هذا ان هناك رجلا ثالثا غير الخطيب والشاعر وهو البليغ المفود الين اللسان . وعليه فقد يكون الانسان ذابلاغة وبيان ولا يكون خطيبا ومعنى ذلك انه اذا تكلم تكلم ببلاغة وحس بيان ولكن لا يستطيع ان يقف موقف الخطيب وكذلك كان ثابت بن عبدالله بن الزبير قال الجاحظ كان ثابت بن عبدالله بن الزبير من اين الناس ولم يكن خطيبا .

قال والخطباء كثير والشعراء اكثر منهم ومن يجمع الخطابة والشعر قليل فمن جمعوا الخطابة والشعر عمرو بن الاهتم المنقرى التميمى وكان يدعى المكحل لجماله وهو الذى قيل فيه انما شعره حلل منشرة بين ايدى الملوك تأخذ منه ماشاءت ولم يكن فى بادية العرب فى زمانه اخطب منه . وعمرو بن الاهتم هذا هو الذى قال له النبی صلى الله عليه وسلم لما رأى

حسن بيانه وبراعة منطقته (ان من البيان لسحرا) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل عمرو بن الازهر عن البرقان بن بدر والزبرقان حاضرا فقال انه مانع لحوزته مطاع في اذنيه فقال الزبرقان اما انه قد علم اكثر مما قال لكنه حسدني شرفي فقال عمرو اما لئن قال ما قال فوالله ما علمته الاضيق الصدر زمر المروءة لئيم الحال حديث الغني . فلما رأى انه خالف قوله الآخر قوله الاول ورأى الانكار في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله رضيت فقلت احسن ما علمت وغضبت فقلت اقبح ما علمت وما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الآخرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك (ان من البيان لسحرا) .

ومن جمعوا الخطابة والشعر قس بن ساعدة الايادي وهو الذي روى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه وذكر موقفه على جملة بعكاز وموعظته وعجب من حسنه واظهر من تصويبه قال الجاحظ وهذا اسناد تعجز عنه الاماني ونقطع دونه الآمال وانما وفق الله ذلك لقس ابن ساعدة لاحتجاجة للتوحيد ولاظهاره معنى الاخلاص وايمانه بالبعث ولذلك كان خطيب العرب فاطبة .

ومن جمعوا الخطابة والشعر من خطباء اياد زيد بن جندب الايادي خطيب الازارقة وقد ذكره الشاعر في مرتبه لابي داود بن جرير الايادي ضاربا المثل به وبغيره من خطباء اياد حيث قال

نعي ابن جرير حاهل بصابه	فيم تزارا بالبكا والنحوب
لنا كالليث يحمي عربنه	وكا بدري يغشى ضوءه كل كوكب
واصبر من عود واهدى اذا سرى	من النجم في داج من الليل غيب
واضرب من حد السنان لسانه	وامضى من السيف الحسام المشطب
زعيم تزار كلها وخطيبها	اذا قال طاطا رأسه كل مشغب
سليل قروم سادة ثم قاله	يبزون يوم الجمع اهل المحصب

كقس اياد اولقيط بن معبد وعذرة والمنطيق زبد بن جندب
وزيد بن جندب هذا هو الذي يقول في الاختلاف الذي وقع بين
الازارقة .

قل للمحليين قد قرت عيونكم بفرقة القوم والبغضاء والهروب
كنا اناسا على دين فقرقا فرع الكلام وخلط الجدل باللعب
ما كان اغنى رجلا ضل سعيهم عن الجدال واغناهم عن الخطب
اني لاهونكم في الارض مضطربا مالى سوى فرسى والريح من نشب
ومن الخطباء الشعراء البيهت المجاسى واسمه خداس بن بثر بن لييد
وانما قيل له البيهت لقوله

تبعت منى ما تبعت بعدما امرت حبالي كل مرها شزرا
وقال عبدالله بن رؤبة سأل رجل رؤبة عن اخطب بن نيم فقال
خداس بن لييد يعنى البيهت الشاعر وقال ابو اليفظان كانوا يقولون
اخطب بن نيم البيهت اذا اخذ القناة فهزها ثم اعتمد بها على الارض
ثم رفعها ولم يكن البيهت في الشعر مبرزاً كالخطابة ولذلك قال يونس
لعمرى لئن كان مغلباً في الشعر لفدكان غاب في الخطب . واذا قالوا غلب
فهو الغالب واذا قالوا مغلب فهو المغلوب كما قال امرؤ القيس

وانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب
وليس البيهت وحده ترك اسمه واسم آخر مشتق من سعه
بل امثاله في ذلك كثير فمنهم عوف بن حصين بن حذفة بن بدر غلب
عليه عوف القوافي لقوله .

سا كذب من قد كان يزعم اتي اذا قلت شعرا لا جيد القوافيا
فسمى عوف القوافي . ومنهم يزيد بن ضرار النخعي غلب عليه
المزرد لقوله

فقلت تزردھا عید فاتی لدرد الموالی فی السنین مزرد
فسمی المزرد وقوله تزردھا ای ابتلعھا . والدرد جمع ادرد وهو من
ذهبت اسنانه کلھا . ومنهم عمرو بن سعید بن ملک غلب علیه المرقش
لقوله

الدار ققر والرسوم کما رقص فی ظهر الادیم قلم
فسمی مرقشا . ومنهم سالم بن نهار العبدی غلب علیه الممزق لقوله
فان كنت مأکولا فکن خیر آکل والا فادرکني ولا امزق
فسمی الممزق . ومنهم جریر بن عبدالمسیح الضبی غلب علیه المتلمس
وذلك لقوله

فهذا اوان العرض طن ذیابه زنایره والازرق المتلمس
فسمی المتلمس . ومنهم عمرو بن رباح بن عمرو المسامی ابو خنساء بنت
عمرو غلب علیه الشرید لقوله

تولی اخوتی وبقیت فردا وحیدا فی دیارهم شریدا
فسمی الشرید . ومنهم من المولدين مسلم بن الولید غلب علیه صریع
الغوانی وذلك لقوله

وما العیش الا ان اروح مع الصبا واغدو صریع الراح والاعین النجل
فسمی صریع الغوانی . ومنهم ابو الطیب احمد بن الحسین غلب علیه
المتنبی لقوله

انا فی امة تدارکھا الله غریب کصالح فی نمود

فسمی المتنبی وقیل سمي بذلك لانه ادعی النبوة وهو قول ضعیف
ومن الخطباء والشعراء الکمیت بن زید الاسدی وکنيته ابوالمستهل
وهو من شعراء مضر وألسنتها وكان مشهورا بالتشیع ابني هاشم وله
قصائد فیهم تسمى الهاشمیات وهو القائل من قصیدته فی هذا الباب .

بنى هاسم رهط النبي فأتى بهم ولهم ارضى مرارا وانضب
ومن الخطباء الشعراء الطرماح بن حكيم الطائي وكنيته ابو تفر
وهو من فحول الشعراء الاسلاميين وفصحائهم نشأ في الشام وانتقل الى
الكوفة مع من وردها من جيوش اهل الشام واعتقد مذهب الشراة
والازارقة بدل على ذلك قوله .

لقد سقيت سقاء لا انقطاع له . ان لم افر فوزذ تحبى من النار
والنار لم تنج من روعائها احد . الا المنيب بقلب المخلص الشاري
اولدى سميت من قبل مولده . له السعادة من خلاقها الباري

وكان معاصرا للكعبية بن زيد الاسدي المتقدم ذكره وكانا صديقين
قال الجاحظ ولم ير الناس اعجب حالا من الكعبية والطرماح كان الكعبية
عدنا نيا عصيبا وكان الطرماح فخطابا عصيبا وكان الكعبية سعييا من
الغالية وكان الطرماح خارجيا من الصفربة وكان الكعبية بتعصب لاهل
الكوفة وكان الطرماح لاهل الشام وبهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة
ما لم يكن بين نفسيين قط ثم لم يجر بينهما صرم ولا جصوة ولا اعراض
ولا شئ مما ندعو هذه الحصال اليه . قال القاسم بن معن قال محمد بن
سهل راوية الكعبية انشدت الكعبية قول الطرماح .

اذا قبضت نفس الطرماح اخلقت عرى المجد واسترخى عنان القصائد
فقال الكعبية اي والله وعنان الخطابة والرواية . وكان الاصمعي
يستجيد قول الطرماح في صفة التور

يبدو وتضمره التلال كأنه سيف يسلك على التلال ويغمد

وللطرماح قصائد كثيرة في هجو بني تميم وهو القائل فيهم

تيمن بطرق اللؤم اهدى من القظا ولو سلكت سبل المكارم ضلت

ومن الخطباء الشعراء عمران بن حطان وكنيته ابو شهاب احد بني

عمرو بن تبيان اخوة سدوس وكن من خطباء الشراة ودعائهم المقدمين في مذاهبهم فهو رئيس القعدة وصاحب قياهم ومقرعهم عند اختلافهم وكان الحجاج ياج في طلب عمران بن حطان وبلغه ان غزاة الحروورية دخلت على الحجاج فتحصن منها واغلق عليه قصره فكتب اليه عمران

اسد على وفي الحروب نعامه ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزاة في الوغى بل كان قبلك في جناحي طائر
صدعت غزاة قابه بفوارس تركت مداير كاس الدابر

ومن الخطباء الشعراء نصر بن سيار احد نى لبث بن بكر صاحب خراسان وهو يعد في اصحاب الولايات وفي الحروب وفي التدبير والعقل وشدة الرأي . ومنهم دغفل بن حنظلة النسابة الخطيب العلامة . ومنهم القعقاع بن سور ومنهم عجلان بن سحبان الباهلى وسحبان هذا هو سحبان وائل وهو خطيب العرب .

ومن الخطباء الشعراء العلماء ومن قد نافر اليه الاشراف اعشى همدان وهو عبدالرحمن بن عبدالله بينه وبين همدان ثلاثة عشر ابا وكان الاعشى شاعرا فصيحاً وهو زوج اخت الشعبي الفقيه والشعبي زوج اخيه وكان ممن خرج على الحجاج وحاربه مرات فظفر به وانى به اليه اسيرا فقال له الحجاج الحمد لله الذى امكنى منك ألت القائل كذا ألت القائل كذا وذكر له ابياتا كان قد قالها في هجوم الحجاج وتحريض الناس على قتاله ثم قال له ألت القائل

واصابنى قوم وكنت اصبهم قال يوم اصبر للزمان واعرف
واذا تصبك من الحوادث نكبة فاصبر فكل غيابة تنكشف

اما والله لتكونن نكبة لاتنكشف غيابتها عنك ابدا يا حرسى اضربا عنقه فضربت عنقه . وكان قد اسر مرة في بلاد الديلم ثم ان بنتا للعلاج الذى اسره احبته وصارت اليه ليلا ومكنته من نفسها فاصبح وقد واقعها

ثمان مرات فقالت له اتمم معشر المسلمين هكذا تعملون بساءكم فقال
نعم فقالت بهذا العمل نصرتهم ثم قالت أفرأيت ان خالصتك تصطفيني
لنفسك فقال نعم وعاهدها فلما كان الليل حلت قيوده واخذت به طريقا
تعرفها وهربت معه فقال في ذلك شاعر من اسراء المسلمين .

فمن كان يقديه من الأسر ماله فمهدان تفدها العداة ابورها

ومن اشعراء الخطاء عمران بن عصام النخعي وهو الذي اسار على
عبد الملك بنخلع اخيه عبدالعزى واليعة للوابد بن عبد الملك في خطبه
المنهورة وقصيده المذكورة وهو الذي لما بلغ عبد الملك بن مروان قتل
الحجاج له قال وبلاه لم قتله هلا رعى له قوله فيه

وبعثت من ولد الاغر مقرب صفرا يلوذ حمامه بالعروج
فاذا طبحت بنار الضجها واذا طبحت بغيرها لم تضج
وهو الهزير اذا اراد فريسة لم يحجها منه صاح الهجيج

ومن خطباء الامصار و--عرائهم والمولدين منهم اشار الاعشى وهو
بشار بن برد وكنيته ابو معاذ كان من احد موالى بنى عقيل فان كان
مولى ام ظباء على ما يقول بنو سدوس وماد كره حماد عجرد فهو من
موالى بنى سدوس ويقال انه من اهل خراسان نازلا في بنى عقيل
وله مديح كثير في فرسان اهل خراسان ورحلاتهم وهو الذي يقول

انا من خراسان وبيتى فى الذرا ومن ولد السعاه فرعى قد سبقى
وانى لمن قوم خراسان دارهم كرام وفرعى فهم ناضر بسقى

وكان شاعرا راجزا خطيبا صاحب مثنوز ومزدوج وله رسائل
معروفة . وانشد عتبة بن رؤبة عتبة بن سلم رجرا يمتدحه فيه وبشار
حاضر فاطهر بشار استحسان الارجوزة فقال عتبة بن رؤبة هذا
طراز يا ابا معاذ لا تحسنه فقال بشار المثلئ يقال هذا الكلام انا والله

ارجز منك ومن ابيك وجدك ثم غدا على عقبة بن سلم بارجوزته التي
اولها

ياطلل الحى بذات الصمد بالله خير كيف كنت بعدى

وهى التي فيها يقول :

اسلم وحيث ابالملة لله ايامك في معد

وقها يقول

الحري بالحي والعصا للبعد وليس للملحف من الرد

وكان بشار يصوب رأى ابليس في تقديم اثار على الطين وفي ذلك
قد قال :

الارض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

واصعوان الانصارى قصيدة طويلة يفند فيها رأى بشار ويرد عليه
مذهبه في تقديم النار على الطين قد اوردها الجاحظ في « البيان والبيان »
وقد ذكر الشاعر اخوى اشار لاه فقال :

احد ولدت ام الاكيمة اعرجا وآخره مطوع القفا ناقص القصد

وكانوا ثلاثة اخوة مختلفي الآباء والام واحدة وقال صفوان الانصارى
في بشار واخويه ايضا يخاطب امهم

ولدت خلدا وذبحا في تشتمه وبعده خرز يشتم في العصد

ثلاثة من ثلاث فرقوا فرقا فاعرف بذلك عرق الخال من ولد

والخلد ضرب من الجرذان يولد اعمى والذبح ذكر الضباع وهو اعرج

والخرز ذكر الارانب وهو قصير اليدين لا يلحقه الكلب في الصيد .

وقال بعد ذلك سليمان الاعمى اخو مسلم بن الوليد الانصارى الشاعر

في اعتذار بشار لابليس وهو يخبر عن كرم خصال الارض :

لأبد الأرض أن طابت وإن خبت من أن تحيل إليها كل مفروس
وتربة الأرض أن جددت وإن قحطت فحملها أبدا في أثر منفوس
وبطنها بفلز الأرض ذو خبر بكل جوهرة في الأرض مرموس
وكل آية عمت مراقبها وكل منتقد فيها وملبوس
وكل ماء ونها كالبلح مرفقة وكلها مضحك من قول إبليس

قوله بفلز الأرض الفلز جوهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس
والآنك وغير ذلك . قال الجاحظ والمطبوعون على الشعر من المولدين
بشار العقيلي والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن أبي عينة قال وقد
ذكر الناس في هذا الباب يحيى بن نوفل وسامما الحاسر وخلف بن خليفة
وابان بن عبد الحميد اللاحق أولى بالطبع من هؤلاء وبشار طبعهم كلهم .

وقد ذكروا في نسب بشار أنا بشار بن برد بن يرجوخ بن ازد كرد
ابن شروستان بن بهمن بن دادا بن فيروز بن كردبه بن ماهفيدان بن
دادان بن بهمن بن ازد كرد بن حسيب بن مهران بن خسروان بن اخشين
ابن شهرداد بن نبوذ بن ماخرشيدا أنماذ بن شهریار بن بدار سيحان
ابن مكر بن ادریس بن يستانب . وبشار هذا يعد من محضرى شعراء
الدولتين الأموية والعباسية وهو بصرى المولد والمنشأ والوفاة ومات
بغرب المهدي له سياطات على تلفة لانكاره عليه انباء بلغته عنه
وذلك سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ من العمر نيفا وسبعين سنة .

ومن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان
الحسن كثوم بن عمرو العتابي وكنته ابو عمرو . وعلى الفاظه وحذوه
ومثاله في البديع بقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين
كنحو منصور النمرى ومسلم بن الوليد الانصارى واشباههما وكان العتابي
يحتذى حذو بشار في البديع ولم يكن في المولدين اصوب بديعا من بشار
وابن هرمة . والعتابي من ولد عمرو بن كثوم ولذلك قال :

انى امرؤ هدم الاقتار مآثرنى واجتاح ما بنت الايام من خطرى
ايام عمرو بن كلثوم يسوده حيا ربيعة والاقناء من مضر
ارومة عطائى من مكارمها كالفوس عطلها الرامى من الوتر
نهى ظراف الغوانى عن مواصلى ما بفجأ العين من سبى ومن قصرى

وهذا البيت الاخير يدل على انه كان قصيرا .

ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال
والقصار والكتب الكبيرة المجلدة والسير الحسان المولدة والاخبار
المدونة سهل بن هارون بن راضيونى الكاتب صاحب كتاب عملة وعنزة
فى معارضة كتاب كلية ودمنه وكتاب الاخوان وكتاب المسائل وكتاب
المخزومى والهداية وغير ذلك من الكتب .

ومن الخطباء الشعراء - خالد بن يزيد بن معاوية كان خطيبا - ساعرا
وفصيحاً حامداً وجيد الرأى كبير الادب وكان اول من ترجم كتب النجوم
والعطب والكيمياء .

ومن الخطباء الشعراء عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود فقد كان
مع كونه خطيباً راوية مأسا ساعرا ولما رجع عن قول المرحلة الى قول
الشيعه قال :

واول ما تفارق غيرك تفارق ما يقول المرجثونا
وقالوا مؤمن من آل جور وليس المؤمنون بجائرينا
وقالوا مؤمن دمه حلال وقد حرمت دماء المؤمنين

وكان حين هرب الى محمد بن مروان فى قلعة ابن الاسعث الزمه ابنه يؤدبه
ويقومه فقال له يوما كيف ترى ابن اخيك قال الزمتنى رجلا ان غبت
عنه عتب وان آتته حجب وان عاتبه غضب . ثم لزم عمر بن عبدالعزيز
وكان دامنزلة منه قالوا وله يقول جرير لما غبر على باب عمر بن عبدالعزيز
ولم يصل اليه

يا ايها الرجل المرخي عمامته هذا زمانك انى قد مضى زمنى
ابلق خليفتنا ان كنت لاقيه انى لدى الباب كالمشدود فى قرن
وقد رآك وفود الخاقين معا ومذ ولت امور الناس لم نرنى

ومن جمعوا الخطابة والشعر ابراهيم بن السئدى قال الحاحظ واما
ابراهيم فانه كان رجلا لا نظير له وكان خطيبا وكان ناسبا وكان فقيها وكان
نحويا عروضا وحافظا للحديث راوية للشعر شاعرا وكان فخم الالفاظ
شريف المعانى وكان كاتب الفلم كاتب العمل وكان متكلم بكلام رؤبة ويعمل
فى الخراج يعمل زاذان فروح الاعور وكان مسجما طيبا وكان من
رؤساء المتكلمين وعالما بالدولة ورجال الدعوة وكان احفظ الناس لما سمع
واقلمهم يوما واصبرهم على السهر .

ومن الخطباء الشعراء عبدالله بن سبرمة بن طفيل بن هيرة بن المنذر
وكان فقيها عالما فاضيا وكان راوية شاعرا وكان خطيبا ناسبا وكان حاضر
الجواب مفوها وكان لاجتماع هذه الخصال فيه بتشبه بعامر الشعى وكان
يكنى اباسبرمة وفيه قال يحيى بن نوفل :

لما سألت الناس ابن المكرمة والعز والجرثومة المقدمة

وابن فاروق الامور المحكمة نتابع الناس على ابن سبرمة

وابن سبرمة هو الذى يقول فى ابى ليلى

وكيف ترجى لفصل القضاء ولم تصب الحكم فى نفسك

فزعم انك لابن الجلاح وهيات دعواك من اصلكا

ومن الخطباء الشعراء ابوالاسود الدثلى واسمه ظالم بن عمرو بن جندل
ابن سفيان كان خطيبا عالما وهو معدود فى التابعين والفقهاء والشعراء
والمحدثين والاشراف والفرسان والامراء والبهاة والنحويين وهو
واضع علم النحو وكان من اكثر الناس تعلقا بعلى كرم الله وجهه وعنه
اخذ علم النحو كما هو مشهور اما من حيث الشعر فقد كان من نصراء الشعرة

لكنه لم يكن يجسر على هجو معاوية كما فعل اكثر امثاله وكان معاوية لا يعتمد اذاء ولكنه كان يضايقه فلم يرو له طعن في نيامة واكثر شعره في الحكم والادب وله من قصيدة

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه قالقوم اعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغضا انه لدميم

ولارب ان الذين جمعوا الخطابة والشعر اكثر ممن ذكرنا وليس من غرضنا استقصاؤهم وانما ذكرنا من ذكرنا منهم على سبيل المثال وحسبنا هذا المداد .

المبحث الثاني عشر

فما يعرض للخطيب من الرتج والحصر

قد تعرض للخطيب اثناء الخطبة حالة يستعصى معها عليه الكلام فيقف ساكنا لا يدري ماذا يقول ويسمى ذلك بالحصر وبلرتج يقال حصر الخطيب في خطبته حصرا اذا عي ولم يقدر على النطق وقال رتج رتجا اذا استغلق عليه الكلام ويقال ايضا ارتج عليه وارتجج واسترجج بصيغة المجهول اى استغلق عليه الكلام كأنه اطبق عليه . واكثر مايكون ذلك في اول الخطبة وهو دليل على ان مركب الخطابة صعب لا يذل الا لمن اوتى مع ذلاقة اللسان جرأة الجنان . غير ان عروض مثل ذلك للخطيب لا يزدري به ولا يحط من قدره وقد عرض الحصر لكثير من الخطباء المصاقع ولم يتعيبهم احد به لانه عرض زائل والمعيب انما هو الى والحصر الدائم .

فمن اصابه الحصر في الخطابة عثمان رضى الله عنه وذلك انه صعد المنبر فارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا واتم الى

امام عادل احوج منكم الى امام خطيب وستأتيكم الخطب على وجهها وتعلمون ان شاء الله تعالى . ونحو هذا الكلام اعتذر ايضا ثابت بن قطة الشاعر المشهور . وذلك ان يزيد بن المهلب ولاء عملا في خراسان فلما صعد المنبر رام الكلام فتعذر عليه وحصر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اوبعد عي بيانا واتم الى امير فقال احوج منكم الى امير قوال

وان لم اكن فيكم خطيبا فاتى بسيفي اذا جدالوى خطيب

ومن خطب فارتج عليه في اثناء الخطبة عبدالله بن الحسن وذلك ان يوسف بن عمر لما بعث برأس زيد بن علي بن الحسين مع سبة بن عقال وكاف آل ابي طالب ان يبرؤا من زيد ويقوم الخطباء بذلك قام عبدالله بن الحسن فاوجز في كلامه ثم حبس فقام بعده عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر فاطنب في كلامه وكان شاعرا بينا وخطيبا اسنا فاحترف الناس وهم يقولون ابن الطيار اخطب الناس فقيل لعبدالله بن الحسن في ذلك فقال لونسئت ان اقول لقلت ولكن لم يكن مقام سرور فاعجب الناس ذلك منه

وقال ابو الحسن صعد عدى بن اوطاة المنبر فلما رأى جماعة الناس حصر فقال الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم . وصعد روح بن حاتم المنبر فلما رأى الناس قد شنفوا ابصارهم وفتحوا اسماعهم نحوه قال نكسوا رؤسكم وغضوا ابصاركم فان المنبر مركب صعب واذا يسر الله فنج قتل تيسر . وقال ابو الحسن ايضا خطب مصعب بن حيان اخو مقاتل ابن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقتوا موتاكم قول لا اله الا الله فقالت ام الجارية عجل الله موتك ألهذا دعوناك . وخطب عبدالله بن عامر على منبر البصرة فحصر وشق ذلك عليه فقال له زياد يسليه ايها الامير انك ان اقيمت عامة من ترى اصابه اكثر مما اصابك . وقيل لرجل من الوجوه قم فاصعد المنبر وتكلم فبمات لما صعد حصر وقال الحمد لله الذي

هؤلاء ونبي ساكتا فانزلوه وصعد آخر فلما استوى قائما وقابل بوجهه
وجود الناس وقعت عينه على صاعه رجل فقال اللهم العن هذه الصاعه
وقيل لوازع اليشكري قم فاصعد المنبر وتكلم فلما صعد ورأى جمع
الناس حصر فقال لولا ان امرأتى لعنها الله حملتني على اتيان الجمعة
اليوم ما جمعت وانا اشهدكم انها مني طالق نلانا . وفي ذلك قال الشاعر

وما ضرني ان لا اقوم بخطبة وما رغبت في ذا الذي قال وازع

قلنا ان ما يعرض للخطيب من الرنج والحصر غير معيب لانه عارض
بزول وربما اصاب به الخطيب المصنف ولانه غير ناشئ عن عجز عن
الكلام ولا عن ضعف في القدرة على البيان وانما الميعب هو الهمي والخطل
بان يخطئ نهج الصواب في كلامه ولا يكشف القناع عن وجه مرامه
ويأتي بالكلام التافه والعمارة الزائدة من غير فائدة قال الهيثم خطب
قيصة وهو حلبة ابيه على خراسان وقد اتاه كتابه فقال هذا كتاب
الامير وهو والله اهل لان اطيعه وهو ابى واكبر مني . فاذا نظرت الى
هذا الكلام وما فيه من الرفاعة هانت عندك مصيبة الخطيب بما يعرض له
من الحصر في خطبته فالحصر غير معيب وانما الميعب ان يتكلم كلاما يكون
السكوت اعلى قدرا منه ككلام قيصة هذا . ومن هذا القيل ماذكروه
عن عتاب بن ورفاء قالوا انه خطب يوما فقال في خطبته هذا كما قال الله
تبارك وتعالى انما يتفاضل الناس باعمالهم وكل ما هو آت قريب فقالوا له
ان هذا ليس من كتاب الله قال ما ظننت الا انه من كتاب الله .

وخطب عدى بن زياد الايادي فقال اقول كما قال العبد الصالح
ما اريكم الاماري وما اهديكم الاسيل الرشاد فقالوا له ليس هذا من
قول العبد الصالح انما هو قول فرعون قال من قاله فقد احسن . وخطب
والى النيامة فقال ان الله لا يقار عباده على المعاصي وقد اهلك الله امة
عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم . فسمى مقوم ناقة الله .

وخطب وكيع بن ابى سود بن خراسان فقال ان الله خلق السموات
والارض في ستة اسهر فبذل له اها ستة ايام قال وايتك لقد قلها وانى
لاستقلها . وصعد المنبر يوما فقال ان ربعة لم تزل عضابا على الله منذ بعثت
نبيه من مضر ألا وان ربعة قوم كشف [*] فاذا رأيتوهم فاطعنوا ايل
في مناخرها فان فرسا لم يطعن في منحرد الا كن اسد على فارسه من
عدوه . فالحضر خير من هذا وما اسره .

المبحث الثالث عشر

ف

اللعن ومن وقع لهم اللحن من البلاء الايناء

اللعن هو الخطأ في الاعراب والبناء كرفع المنسوب ونصب المرفوع
وفتح المكسور وكسر المفتوح . وقد يطلق اللحن ويراد به مخالفة نهج
الصواب في الكلام بوجه من الوجود كتقصير ماحقه المد ومد ماحقه
التقصير ولا سيما في القرآن وقد قال الميساني في هجاء اهل المدينة

ولحنكم بتقصير ومد والام من بدب على العنار

قال الجاحظ وقال يوسف بن خالد التيمي لعمر بن عبيد ما تقول
في دجاجة دبخت من قفائها فقال له عمرو احسن فقال من قفائها قال
احسن قال من قفائها قال له من عناك هذا قل من قفائها واسترح .
قال وسمعت من يوسف بن خالد يقول لا حتى يشحه بكسر الشين يريد
حتى يشجته بضم الشين . وكان يوسف يقول هذا احمر من هذا يريد هذا
اسد حمرة من هذا . قال وكان هشيم يقول حدثنا يونس عن الحسن
[*] بوله قوم كشف الكشف بضمين الذين لا يصدقون القتال ولا يعرف له
واحد .

يقولها (اى كلمة يونس) بفتح الياء وكسر النون . وكان عبد الاعلى السامى يقول فاخذه فصرعه فذبحه فاكله بكسر هذا اجمع .

فهذا كله يعتمد لحننا وان لم يكن من الخطأ فى الاعراب . واللحن بكلا المعنيين معيب فى الخطابة ومخل بآدابها وكذلك قال عبد الملك بن مروان اللحن هجئة على الشريف والعيب آفة الرأى . وكان يقال اللحن فى المنطق اقبح من آثار الجدرى فى الوجه وقال ابو الطيب اللغوى ان اول ما اختلف من كلام العرب واحوج الى التعلم الاعراب لان اللحن ظهر فى كلام الموالى والمنعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال فقد روينا ان رجلا لحن بحضرة فقال اردوا احاكم فقد ضل . وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لان اقرا فاسقط احب الى من ان اقرا فالحن . وقد كان اللحن معروفا بل قد روينا من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا من قريش ونشئت فى نبي سعة فاني لى اللحن . وكتب كتب لابي موسى الا سعى الى عمر فلحن فكتب اليه عمر ان اضرب كاتبك سوطا واحدا . وقد علمت ان الاعراب حلبة الخطابة وزيتها كما جاء فى قول ابن جرير الذى ذكرناه لك سابقا فى مبحث (قوام الخطابة وآدابها) فاذا وقع اللحن فيها سقطت حليتها وذهبت زيتها بل قد يكون الكلام اذا وقع فيه اللحن ناقصا غير مغزوم المعنى كما ذكرنا ان اعرابيا سمع رجلا يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال يفعل ماذا . وذلك انه لما جاء بخبر ان منصوبا فهم الاعرابى ان رسول الله صفة او بدل فثبت ان بلا خبر وبقى الكلام ناقصا فكان (يفعل ماذا) يسأله عرابيا . وقد قلنا فيما سبق ايضا ان مصيبة الخطيب الراذل اى الذى يأتى بالقضاة مردولة غير متحيرة اعظم من مصيبة الخطيب الا لحن لان اللحن مهما كان معيبا فهو مقتفر وقد وقع لكثير من الخطباء والعلماء الايتاء قال الجاحظ ومن اللحنين البلاء خالد بن عبد الله القسرى وخالد بن صفوان الاهتمى وعيسى بن المدور . وفى خالد بن عبد الله هذا يقول يحيى بن نوفل

وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق في الخطب

وزعم المدائني ان خالد بن عبدالله قال ان كنتم رجبون فانا رمضانيون قال الجاحظ ولولا ان تلك المجهـثـة قد صحت على الوليد ماجتوزت هذا على خالد . والوليد هذا هو الوليد بن عبدالملك وكان حائنا قال بكر ابن عبدالعزيز الدمشقي سمعت الوليد بن عبدالملك على المنبر حين ولي الخلافة وهو يقول اذا حدثتكم فكذبتكم فطاعة لي عليكم وادا وعدتكم فاخلفتكم فلا طاعة لي عليكم واذا اعربتكم فحجمرتكم فلا طاعة لي عليكم . قال فيقول مثل هذا الكلام ثم يقول لايه يا امير المؤمنين اقل ابى قديك وقال مرة اخرى يا اعلام رد الفرسان المصادان عن الميدان . قال وقال عبدالملك اضر بالوليد حبنا له فلم توجهه الى البادية . قال ولحن الوليد على المنبر فقال الكروس لا والله ان رأته على هذه الأعواد قط فامكني ان املا عني منه من كرهه في عيني وجلالته فاذا لحن هذا اللحن الفاحش صار عندي كبعض اعوايه .

ومن الامحانين الباقاء ابو معمر قال الجاحظ حدثنا عثام ابو محبي عن الاعمش عن عماره بن عمير قال كن ابو معمر بمحدا . فبلحن . ومهم عبيدالله بن زياد قال ابوالحسن اوفد زياد ابنه عبيدالله الى معاوية فكتب اليه معاوية ان ابلك كما وصفت ولكن قوم من اسانه وكانت في عبيدالله لكنة لانه كان نشأ بالاساورة مع امه مرجانة وكان زياد تزوجها من شيرويه الاسواري وقال عبيدالله مرة افتحوا سيوفكم يربد سلوا سيوفكم فقال يزيد بن مضرغ .

ويوم فتحت سيفك من بعيد اضمت وكل امرك للضياع

ولما كره سويد بن منجوف في الهشبات بن نور قال له يا ابن البظراء فقال له سويد كذبت على نساء بني سدوس قال اجلس على است الارض قال سويد ما كنت احسب ان للارض استا . فقول عبيدالله افتحوا

سيوفكم واجلس على امت الارض لحن لكن لا من جهة الاعراب بل من جهة كونه مخالفا لتهج الصواب في الكلام . وممن وقع لهم اللحن بشر بن مروان حيث قال مرة وعنده عمر بن عبدالعزيز لعلام له ادع لي صالحا فقال العلامة يا صالحا فقال له بسر ألق منها ألف قال له عمرو انت فزد في الفك ألفا . وفيل لأبي خيفة ما تقول في رجل اخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله أقيده به قال لا ولو ضرب رأسه بابا قيس . وروى ابو الحسن ان الحجاج كان يقرأ أنا من المجرمين المنتقمون وقد زعم رؤية ابن الحجاج وابو عمرو بن العلاء انهما لم يريا قرويين افصح من الحسن والحجاج وغامد الحسن في حرفين من القرآن مثل قوله ص والفرآن والحرف الآخر وما تنزات به الشياطين وقال ابو الحسن كان سابق الأعمى يقول الخالق الباري المصور فكان ابن جابان اذا لقيه قال يا سابق ما فعل الحرف الذي تشرك بالله فيه . قالوا واول لحن سمع بالبادية هذه عصاتي واول لحن سمع بالعراق حي على الفلاح . ودخل ابو الفضل بن عياش على كافور الاخشيدى وعند البحتري الشاعر المشهور فقال له ادام الله ايام سيدنا (ما لخفض) ولحن فقال البحتري مرتجلا .

لاغرو ان لحن الداعي لسيدنا	وغص من هية بالريق والهر
مثل سيدنا حالت مهابته	بين البليغ وبين القول بالحصر
فان يكن خفض الايام من دهش	من سدة الخوف لا من قلة البصر
فقد تفاءلت في هذا لسيدنا	والقال مأثرة عن سيد البشر
بان ايامه خفض بلا نصب	وان دولته صفو بلا كدر

ورب فائل يقول ليس من الحق ان يكون الامم معيا على الخطيب لان مدار الامر على الافهام فهو النغاية المقصودة من الكلام فالخطيب اذا افهم السامعين حاجته ولو بالكلام الملحون فاجدر به ان يعد في عداد مصاقع الخطباء ولاضير عليه من اللحن وأى ضرر في مخالفة الاعراب

اونهج الصواب بعد ان يكون الافهام حاصلًا وقد قال العتابي حين سئل عن البلاغة كل من افهمك حاجته فهو بليغ .

والجواب ان مدار الامر ليس على الافهام مطلقا بل على الافهام على مجرى كلام الصحاح ولو كان مدار الامر على الافهام وحده لاتصف بالبلاغة كل احد حتى العجماوات فانا نفهم محجمة الفرس كثيرا من حاجاته كما نفهم من هؤلاء الحرس الذين يكلمونا بالاسازة كل ما ارادوا من المعاني وليس هم من البلاغة في شيء واليك ما قاله الخافظ في دحض هذه الحجة وتقيد هذا الرأي حيث قال والعتابي حين زعم ان كل من افهمك حاجته فهو بليغ لم يعن ان كل من افهمنا من معاصر المولدين والباقيين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمعروف من حقه انه محكوم له بالبلاغة كيف كان بعد ان نكون قد فهمنا عنه معنى كلام النبطي الذي قيل له لم استريت هذا لان قال اركها وتلدلي وقد علمنا ان معناه كان صحيحا وقد فهمنا قول الشيخ الفارسي حين قال لاهل مجلسه ما من شر من دين واه قال حين قيل له ولم دالك يا ابا فلان قال من جرى تعلقون وما تشك انه قد ذهب مذهبا واه كما قال معنى قول ابي الحمير الحراساني النخاس حين قال له الحجاج أنبيع الدواب المعية من جند السلطان قال شريكنا في هوازها وشريكنا في مداينها وكما تجي تكون قال الحجاج ما نقول ويملك فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار نفهم مثل ذلك نقول شركاؤنا بالاهواز والمدائن بيعون الينا بهذه الدواب فتحن بيعها على وجوهها وقالت لخدم لي في أي صناعة اسلموا هذا الغلام قال اصحاب سند نعال بربد في اصحاب النعال السندية . وكذلك قول الكاتب المغلاق للكاتب الذي دونه اكتب لي قل حطني وربحنى منه . فمن زعم ان البلاغة ان يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والاغلاق والابانة والملحون والمغرب كله سواء وكاه بياننا وكيف يكون

ذلك كله بيانا ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه لافساد من الكلام لما عرفه ونحن لم نفهم عنه الا للنقص الذي فينا واهل هذه اللغة وارباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء باكمالهم كما لا يعرفون رطانة الروم والصقاب . وان كان هذا الاسم انما يستحقونه باننا نفهم عنهم كثيرا من حوائجهم فنحن قد نفهم . بحماسة الفرس كثيرا من حاجاته ونفهم بضغاء السنور كثيرا من اراداته وكذلك الكلب والخمار والصبي الرضيع وانما عني العتاني افهامك العرب حاجتك على مجرى كلام الفصحاء . واصحاب هذه اللغة لا يفهمون قول القائل منا

« مكره اخاك لا بطل » و « اذا عز اخاك فليس »

ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم ذهبت الى ابو زيد ورأيت ابى عمرو ومتى وجد النحويون اعرابيا يفهم هذا وانساباه بهرجود ولم يسمعوا منه لان ذلك بدل على طول اقامته في الدار التي فسد اللغة وتنقص البيان لان تلك اللغة انما انتقادات واستتوت واطردت وتكلمات بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة وقد روي اصحابنا ان رجلا من البلديين قال لاعرابي كيف اهلك قالها بكسر اللام فقال صلبا لانه اجابه على فهمه ولم يعلم انه اراد المسئلة عن اهله وعياله . وحكى الكسائي انه قال لغلام بالبادية من خلقك وجزم القاف فلم يدر ما قال ولم يجبه فرد عليه السؤال فقال الغلام لعلك تريد من خلقك . وكان بعض الاعراب اذا سمع رجلا يقول نعم في الجواب قال نعم وثناء لان لغته نعم وقيل لعمر بن لجاه قل انا من المجرمون منتقمين فقال انا من المجرمين منتقمون . انتهى وقال الجاحظ في موضع آخر من كتابه ثم اعلم ان اقبح اللحن لحن اصحاب التقير والتقيب والتشديق والتعطيط والجهورة والتفخيم واقبح من ذلك لحن الاعراب النازلين على طرق السابلة ويقرب مجامع الاسواق قال واللحن من الجوارى الظراف ومن الكواعب النواهد ومن الشوارب الملاح ومن ذوات الخدور الغرائر ايسر وربما استملح الرجل ذلك منهن ما لم تكن الجارية صاحبة تكلف .

المبحث الرابع عشر

ف

تخير اللفظ

قال ابوداود بن جرير « رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحها رواية الكلام وحليها الأعراب وبرساؤها تخير اللفظ » فيفهم من هذا ان بهاء الخطبة مقرون بتخير الفاظها وانتقاء كلماتها فان الخطيب اذا تخير الالفاظ في خطبته وانتقاهما في كلامه جاءت خطبته من البهاء والرواء بما يستنر السامعين وبتملك اسماعهم وبمختاب قلوبهم بخلاف ما اذا رمى الكلام على عواهنه وحاء بالفاظ مردولة وكلمات مبذولة فان خطبته تكون حينئذ خلوا من البهاء فتستسهجها النفوس ولا تنقاد لها الاسماع وان كانت معانيها شريفة وذلك لان المعنى الشريف اذا اقترن باللفظ السخيف سقط شرفه وعاد مسهوجا فسخافه اللفظ تمحو شرف المعنى ولا عكس اى ان سخافه المعنى لا تمحو شرف اللفظ فان المعنى السخيف اذا اكتسى لفظا شريفا غطى شرف اللفظ على سخافه وشفع له فيها ولذلك قلنا فيما سبق ان مصيبة الخطيب الراذل اعظم من مصيبة الخطيب اللاحن . غير ان مسألة تخير الالفاظ تختلف باختلاف المقامات التى يقوم فيها الخطيب فما عليه اذن الا ان يراعى مقتضى المقام في تخير الفاظه وتنقيح كلامه فينبغى له ان يعرف اقدار المعانى ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين وبين اقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مناسما فن كان الخطيب متكلميا مثلا تجنب الفاظ المتكلمين في مصطلحاتهم الكلامية كما انا ان عبر عن شئ من صناعة الكلام واصفا او مجييا او سائلا كن اولى الالفاظ به الفاظ المتكلمين وان لا يخاطب

الخاصة بالفاظ العامة ولا العامة بالفاظ الخاصة . واليت ماواله الجاحظ
في هذا الباب قدبره .

قال وكما لا ينبغي ان يكون اللفظ عاميا ساقطا سوقيا فكذلك لا ينبغي
ان يكون غربيا وحشيا الا ان يكون المتكلم بدويا اعرابيا فان الوحشي
من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوق رطانة السوق . قال
وكلام الناس في طبقات كما ان الناس انفسهم في طبقات . فمن الكلام الجزل
والسخيف والمليح والحسن والقيح والسميح والحفيف والثقل
وكله عربي وبكل قد نكلموا وبكل قد تماردوا وتعايبوا فان زعيم زاعم
انه لم يكن في كلامهم تشاغل ولا بينهم في ذلك تفاوت فلم ذكروا الى
والبي والحصر والمنجم والحد والمسبب والمتشدد والمتشيق
والمهماز والزناز والمكثار والهماز ولم ذكروا الهجر والهدر والبهذيان
والخليط ولوا رجل ناقة ونلهاعه وفلان بنلهيع في خطبه وقالوا
فلان يخطي في جوابه ويحل في كلامه ويناقش في خبره ولو ان هذه
الامور لم تكن في بعضهم دون بعض لما سمي البعض دون البعض الآخر
بهذه الاسماء وانا اقول انا ليس في الارض كلام هو امتع ولا اضع ولا
انق ولا اذ في الاسماء ولا اشد اتحالا بالاعتول السايمة ولا اقق
للسان ولا اجود نقوما للبيان من طول استماع حديث الاعراب للصحاء
العقلاء والعلماء البلغاء وقد اصاب العموم في عامة ما وصفوا الا اني ازعم
ان سخياف الالفاظ مشاكل اسخيف المعاني وقد يحتاج الى السخيف في
بعض المواضع وربما امتع باكثر من امتاع الجزل الفاخم كما ان التادرة
الباردة جدا قد تكون اطيب من التادرة الحارة جدا وانما الكرب الذي
يحتم على القلوب ويأخذ بالانفاس ، التادرة العائرة التي لاهى حارة ولاهى
باردة وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط وانما الشان في الحارة جدا
والبارد جدا . وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول والله لفلان اقل من
مغن وسط وابغض من ظريف وسط ومتى سمعت حنظلك الله بتادرة

من كلام الاعراب فايك وان تحكيها الا مع اعرابها ومخارج الفاظها فانك ان غيرتها بان تلحن في اعرابها واخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من مآج الحشوة والطعام فايك وان تستعمل فيها الاعراب او ان تخير ايها لفظا حسنا او نجعل ايها من فبك مخرجا سرّيا فان ذلك يفسد الامتاع بها ونخرجها من صورها ومن الذي اريدت له ويذهب استطابهم ايها واستملاهم لها انهي ما اردنا نقله من كلام الجاحظ وقد تبين لك منه ان لكل مقام مَثَلا وانا اذا قلنا بوجوب نخير اللفظ . فاسنا نريد ان الخطيب يجب عليه ان يأتى بالكلام الجزل مطلقا بل يجب عليه ان يراعى المقام فنخير له من الالفاظ ما يلائمه وينطبق عليه ورب مقام يكون فيه السخيف جزلا والجزل سخيفا كما هو ظاهر من كلام الجاحظ ادلائل ان العاية التي يرمى اليها الخطيب انما هي اصابته الهدف ونخاضه الى حبات القلوب والعروق اذا مدحوا خطيبا قالوا اصاب الهدف اي اصاب الحق في الجملة ويقولون قرطس فلان واصاب القرطاس اذا كن اجود اصابه من الاول فان قالوا رمي واصاب الغرّة واصاب عين القرطاس فهو الذي ليس فوقه احد ومن ذلك قولهم فلان يقل المحز ويعطى المنفل ويضع الهناء مواضع الثقب .

المبحث الخامس عشر

ف

صعوبة موقف الخطيب

كل خطيب ذوي بيان . وليس كل ذي بيان خطيبا فقد يكون المرء اذا تكلم اعجب الناس بفصاحته وجودة بيانه وبراعة منطقته وهو مع

ذلك لا يستطيع ان يقف موقف الخطيب وكذلك كان ثابت بن عبدالله بن الزبير قال الجاحظ « كان ثابت بن عبدالله بن الزبير من ائمة الناس ولم يكن خطيبا » والذين هم مثل ثابت بن عبدالله كثيرون في كل عصر ومصر وهذا دليل على ان مركب الخطابة صعب لا يذل الا لمن اوتى مع فصاحة اللسان جرأة الجنان ومع براءة المنطق رباطة الجأش ولهذا السبب كان الخطباء اقل من الشعراء في كل زمان ومكان مع ان كلتا صناعتهما تشربان من ماء واحد وليس بينهما فرق كبير وناهيك بما يعرض للخطباء المصاقع احيانا من الرجز والحصر اثناء الخطبة دليلا على صعوبة موقف الخطيب ولعمري ما صدق العذرة التي اعذر بها روح بن حاتم حين صعد المنبر فلما رأى الناس قد رفعوا رؤسهم وانشفوا اليه حصر فقال نكسوا رؤسكم وغضوا ابصاركم فان المنبر مركب صعب واذا يسر الله فتح قفل ييسر . وقد ذكرنا فيما سبق ان من معائب الخطيب ان يعترضه البر والارتعاش والرعدة والعرق كما قد يقع لبعض الخطباء احيانا وفي ذلك دليل ايضا على صعوبة موقف الخطيب . قال ابو الحسن قال سفيان بن عيينة تكلم صصعة عند معاوية فغرق قال معاوية برك القول فقال صصعة ان الجياد نضاجة بالماء . وقال الجاحظ قال الكميث بن زيد وكان خطيبا « ان للخطبة صعداء وهي على ذي اللب ارمى » وقولهم ارمى واربي سواء يقال فلان قد ارمى على المائة واربي .

قال الجاحظ وانما يجترئ على الخطبة الغمرا الجاهل الماضي الذي لا يتيه شيئا او المطبوع الحاذق الواثق بغزواته واقتداره فالثقة تنفي عن قواه كل خاطر يورث اللجاجة والنخعة والاتقطاع والبر والعرق . نرى ان الجاحظ في كلامه هذا تدجى المجترئ على الخطبة احد اثنين اولهما الغمرا الجاهل فهو لجهله بما للخطبة من الصعداء لا يتيه غيرها

شيء ولا يبالي ان يخرج منها محمودا او مذموما وتأتيهما المطبوع الحاذق
الوائق باقتداره فهو لتقته باقتداره لا يتهيب الوقوف في موقفها الحرج
وعليه فالقدم على الخطبة لا يخلو عن إحدى هاتين المرتبتين .

وقال عبدالله بن زياد وكان خطيبا على لكمة كانت فيه ثم الشيء
الامارة لولا قعقة البرد والتشديد للخطب . وقيل لعبد الملك بن
مروان عجل عليك الشيب يا امير المؤمنين قال وكيف لا يعجل على وانا
اعرض على الناس في كل جمعة مرة او مرتين يعني خطبة الجمعة
وبعض ما يعرض من الامور : والله درمن قال

وانا خطبت على الرجال فلا تكن خطل الكلام نقوله مختالا
واعلم بان من السكوت ابانة ومن التكلم مايكون خبالا

المبحث السادس عشر

ف

ذكر بعض الخطباء

ولبدأ منهم بذكر الخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
فقول كان الخلفاء الراشدون خطباء قال ابو الحسن كان ابو بكر خطيبا
وكان عمر خطيبا وكان عثمان خطيبا وكان علي خطيبا .
فاما ابو بكر رضي الله عنه فهو عتيق بن عثمان يكنى ابا قحافة بن عامر بن
عمرو وهو اول الخلفاء وكان اسمه قبل الاسلام عبد رب الكعبة فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله وقال له صلى الله عليه وسلم انت عتيق
من النار فكان يدعى عتيقا وقيل سمي عتيقا لجماله وكان يملك يوم اسلم
اربعين الف درهم انفقها كلها في سبيل الله ولما تولى الخلافة اصبح
غاديا الى السوق وعلى رقبته اثواب يتجر بها فلقبه عمر وابوعبيدة فقالا

ابن تريد قال السوق فلا ماتصع وقد وكت امر المسلمين قال فمن اين اطعم عيالي قال ففرضوا له كل يوم سطر شاة وماكساء في الرأس والبطن وكان ابوبكر يحاب لالحى اغنامهم فلما بويع قالت جارية من الحى الآن لا يحلب لنا فقال بلى لاحابتها لكم وارجو ان لا يغيرنى ما دخلت فيه عن خالق كنت فيه . ولما ولى خطب الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد ايها الناس قد وكت امركم ولست بخير منكم وان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذله بحقه وان اضعنكم عندي القوي حتى آخذ منه ايها الناس انا انا متبع ولست بمبتدع فتن احسنت فاعينوني وان زغت فقوموني . وهو الخليفة الذي ولى الخلافة وابوء حتى ومات ابوء ابو قحافة بعد موته بسنة وقيل سبعة اشهر . ولما اعتمر ابوبكر الصديق رضى الله عنه في خلافة في رجب سنة اثنى عشر دخل مكة ضحوة فأتى منزله وبوء ابو قحافة جالس على باب داره فقبل له هذا ابنك قهض فأتا وعجل ابوبكر ان ينيخ راحلته فنزل عنها وهي فائمة فجعل ابوبكر يقول يا ابت لا تقم ثم التزمه فقبل ابوبكر بين عيني ابيه فاخذ الشيخ يبكى فرحا بقدومه وجاء ممن سمع بقدومه ممن هنك من الصحابة مثل عتاب ابن اسيد وسهيل بن عمرو وعكرمة بن ابى جهل والحارث بن هشام فسلموا عليه سلام عليك يا خليفة رسول الله فجعل ابوبكر عند مسمع ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى وابكى القوم وتجدد عليه الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو قحافة يا عتيق هؤلاء الملاء فاحسن صحبتهم فقال ابوبكر يا ابت لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لقد طوقنى الله امرا عظيما لا قوة لى به ولا يد الا بالله ثم دخل فاغتسل وخرج وتبعه اصحابه فتحامهم ولقيه الناس يعزونه برسول الله وهو يبكى حتى انتهى الى البيت فاضطجع واستلم وطاف سبعا وركع ركعتين ثم رجع الى منزله فلما كانت صلاة الظهر خرج فطاف بالبيت ثم جلس قريبا

من دار الندوة فقال هل من احد يشتكى من ظلامه او يطلب حقا فما انا
احد واتى الناس على واليهم خيرا ثم صلى العصر وجلس فردفه الناس
ثم خرج راجدا الى المدينة .

وكان ابوبكر خطيبا ونسابة قال ابن العربي في المسامرات وروينا
من حديث عمرو بن بحر الجاحظ قال حدثنا سنان بن الحسن التستري
عن اسماعيل بن مهران العسكري عن ابن بن عثمان عن عكرمة عن ابن
عباس عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يرض نفسه على القبائل خرج وانا معه وابوبكر وكان
ابوبكر عالما بانساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عابهم الوفار
والسكينة فنقدم ابوبكر فسلم عليهم وردوا عليه السلام فقال ممن ائتوكم
فقالوا من ربيعة قال أمن هاماتها ام من لهازمها قالوا بل من هاماتها
العظمى قال واى هاماتها قالوا دهل قال اذهل الاكبر ام دهل الاصغر
قالوا بل الاكبر قال ائتكم عوف الذى كن يقال لاجر بوادى عوف
قالوا لا قال ائتكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنهى الاخفاء قالوا
لا قال ائتكم جساس بن مرة حامى الدمار ومابع الجار قالوا لا قال
ائتكم المزدلف صاحب الغمام قالوا لا قال نبهوا اخوال الملوك من
كندة قالوا لا قال اقام اصهبان الملوك من ثم قالوا لا قال فلسهم من
ذهل الاكبر اذ اسم من دهل الاصغر . فقال اليه اعرابي غلام حين
يقبل وجهه فاخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على
ناقته يسمع مخاطبته فقال لك على من سألنا ان نسأله واليبي لا تعرفه
او تحمله يا هذا انك سألنا أى مسألة شئت فام نكتمك فاخبرنا من
انت قال ابوبكر من قريش قال بنو اهل الترف والرياسة فاخبرني
من أى قريش انت قال من تيم بن مرة قال ائتكم قصى بن كلاب
الذى جمع القبائل من فهر فكان يقال له مجمعا قال ابوبكر لا قال
ائتكم هاشم الذى يقول فيه الشاعر

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورحال مكة مستنون عجاف

قال ابوبكر لا قال أفتكم شعبة الحمد الذي كان وجهه يضيء في
الليلة الظلماء الداجية مطعم الطير قال لا قال أفتن المنفيضين بالبأس انت
قال لا قال أفتن اهل الرقادة انت قال لا قال أفتن اهل السقاية انت قال لا
قال أفتن اهل الحجابة انت قال لا قال اما والله لو نئثت لا خبرتك انك
لست من اشراف قريش فاجتذب ابوبكر زمام ناقته منه كهيئة المنضب
فقال الاعرابي

صادف درالسيال درا يدفعه يرفه طورا وطورا يضعه

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على فقلت يا ابابكر لقد
وقعت من هذا الاعرابي على باقة قال اجل يا اباالحسن مامن طامة
الا وفوقها طامة وان البلاء موكل بالمنطق انتهى . قال الجاحظ في كتاب
اليان ومن اصحاب الاخبار والنسب ابوبكر الصديق رضى الله عنه ثم
جوير بن مطعم ثم سعيد بن المسيب ثم محمد بن سعيد بن المسيب ثم قتادة
وعبدالله بن عبيدالله بن عتبة المسعودي . قال ومر رجل بابي بكر ومعه
ثوب فقال أتبيع الثوب فقال لا عافاك الله فقال ابوبكر لقد علمتم لو
كنتم تعلمون قل لا وعافاك الله وقال ابراهيم الانصاري (هو ابراهيم
ابن محمد المفلوج من ولد ابي زبد القاري) الخلفاء والائمة وامراء
المؤمنين ملوك وليس كل ملك يكون خليفة واماما قال ولذلك فصل
بينهم ابوبكر رضى الله عنه في خطبته فانه لما فرغ من الحمد والصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك
قال فرفع الناس رؤسهم كل منعجين فقال ابوبكر مالكم ايها الناس انكم
لطعانون عجلون ان من الملوك من اذا ملك زهد الله فيما عنده ورغبه
فيما في يديه غيره وانتقصه شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد
على القليل ويتسخط الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنه لذة الباء لا يستعمل

العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسّى والسراب الخادع جذل
الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونصب عمره وضحي ظله حاسبه
الله فاشد حسابه واقل عفوه الا ان الفقراء هم المرحومون وخير الملوك
من آمن بالله وحكم بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وانكم اليوم
على خلافة النبوة ومفرق المحجة وسترون بعدى ملكا عضوضا وملكاً
عنودا وامة شعاعا ودما مفاحا فان كانت للباطل نزوة ولاهل الحق جولة
يعفو بها الاثر ويموت لها البعير فالزموا المساجد واستشيروا القرآن و
الزموا الطاعة ولا تفارقوا الجماعه وليكن الابرار بعد التشاور والعسفة
بعد طول التناظر أى بلادكم خرسة ان الله سيفتح عليكم اقصاها كما فتح
عليكم ادناها

واما عمر رضى الله عنه فهو عمر بن الخطاب بن نفيل وكنيته ابو حفص
واسمه عمر بالعدل وهو الذى حدث ابنه عبدالرحمن فى الشراب فمات
وكان عمر لا تأخذه فى الحق لومة لائم وكان اذا رأى من انكر منه شياً عامله
بالشدة وربما علاه بالدره وهى السوط فانه كان لانفارقة الدرّة . وحج
مرة فدخل على نافع بن الحارث يعود فوجده قريب عهد بعرس وفى
بيته ستر من ادم مزين بسيور فاخذه عمر فشقه وقال لم لاتسترون
بيوتكم بهذه المسوح فى اوفى وألين واحمل للغبار . ثم مرّ عمر بابى
سفيان بن حرب فرأى احجارا قد بناها ابوسفيان كالديكان فى وجه داره
يجلس عليها بالغداة فقال عمر لا ارجعن من وجهى هذا حتى تقامه و
ترفيه فلما رجع عمر وجده على حاله فقال ألم اقل لك اقلعه قال انتظرت
ان يأتينا بعض اهل مهنتنا فقال عزمت عليك لثامه بيديك وتنقله على
عائقك فلم يراجعه وفعل ذلك فقال عمر الحمد لله الذى اعز الاسلام
برجل من عدى يأمر اباسنيان سيد بنى عبد مناف بمكة فيطبعه . وكان
عمر حريصا على صيانة امور الرعية كثير العاطفة على الفقراء يتفقدهم

ويتعاهدهم ويباشر أمورهم بنفسه وروى زيد بن اسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر إلى السوق فلحقته امرأة شابة فقالت يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغارا والله ما ينضجون كراعا ولا لهم ذرع ولا ضرع وخشيت عليهم الطمع فانا ابنة خفاف بن انعام النخاري وقد شهد أبي الحديبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوقف معها عمر ولم يمض وقال مرحبا بنسب قريب ثم انصرف الى بعير كان مربوطا الى الدار فحمل عليه غرارتين ملائها طاما وجعل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها خطاما وقال اقاده فلن يعني هذا حتى يأتيكم الله بخير . وخرج مرة في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر فلما أصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت فاذا عجوز عياء مقعدة فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك قالت انه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الاذى فقال طلحة كلك امك يا طلحة لعنات عمر تبع . وذكر الجاحظ عن العاشي انه قال كن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اعلم الناس بالشعر قال ولكنه لما ابلى بالحكم بين النجاشي والمجلافي وبين الحطيئة والزيبرقان كره ان يتعرض للشراء واستشهد رجالا للفرقيين منى حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليه سبهم فاذا سمع كلامهم حكم بما يعلم وكن الذي ظهر من حكم ذلك الشاعر متعاضدا للفرقيين ويكون هو قد تناص بعرضه . لما فلما رآه من لا علم له يسأل هذا وهذا ظن ان ذلك لجهله بما يعرف غيره . قال ولما انشدوه شعرا لزهير وكن عمر اشعره متعاضدا وقد قال فيه اشعر العرب الذي يقول ومن ومن يعني زهيرا فلما انتهوا من انشادهم الى قوله

وان الحق مقطعه ثلاث يمين او تقار او جلاء

قال عمر كالتعجب من علمه بالحقوق وتقصيه بينها واقامته اقسامها

وان الحق مقطعه ثلاث يمين او تقار او جلاء

يردداليت من التعجب والاستحسان . وانشدوه قصيدة عبدة بن الطيب
الطويلة التي على الالام فلما بلغ المشد الى قوله

والمرء ساع لا امر ليس يدركه والعيش شح وانفاق وتأميل

قال عمر متحجبا « والعيش شح وانفاق وتأميل » يعجبهم من
حسن ما قسم وانصل . وانشدوه قصيدة ابى قيس بن الاسات التي
على العين وهو ساكت فلما انهى المشد الى قوله

الكيس والقوة خير من الانفاق والفهة والهاع

باعاد عمر البيت وقال

الكيس والقوة خير من الانفاق والفهة والهاع

وجعل عمر بردداليت استحسانا وشعجا . وقال محمد بن سلام
الجمحي عن بعض اسياديه كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له امر الا
انشد فيه بيتا . ولما رفع اليه ان الخطيئة آذى الناس بهجائه
استحضره وابته واوممه انه يقطع لسانه فقال له الخطيئة بالله يا امير المؤمنين
الا ما اقلنتي فقد هجوت والله امي واني وامراتي ونفسي فقال له عمر
مالذي قلت في امك قال قلت فيها والجواب الاب

واند رأيتك في النساء فسؤنى أما ابوى فساءنى في المجاس

وقاب فيها ايضا

تحنى فاجلسى منى بعيدا اراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا وكانونا على المنحدثينا

ثم قالت في امرأتى

اطوف ما اطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكاع

ثم نظرت في بئر فرأيت وجهى فاستقبحته فقات

أبت شفتاي اليوم الا تكلمنا بشر فما ادرى لمن انا قائله
ادري لي وجهها قببح الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله
فامر به عمر فسجن فكتب اليه بعد ايام يقول

ماذا تقول لأفراخ بذى مرج حمرا الحواصل لا ماء ولا شجر
النيت كاسهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامام الذي من بعد صاحبه اقلت اليك مقاليد النهر البشر
ما آثروك بها اذ قدموك لها لابل لا تقسم قد كانت الاثر

فامر به فاحضر فاستنوبه وخلي سييله

ومما هو جدير بان يؤثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسالته الى
ابي موسى الاشعري وهي رسالة بديعة في بابها تتضمن سياسة القضاء وتدير
الحكم قال الجاحظ روى هذه الرسالة ابن عينة وابوبكر الهذلي ومسلمة
ابن محارب وروها عن قتادة ورواها ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم عن
عبيد الله بن حميد الهذلي عن ابي المايح بن اسامة ان ابن الخطاب رضي الله
عنه كتب الى ابي موسى الاشعري :

بسم الله الرحمن الرحيم : اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة
فافهم اذا ادلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذله . آس بين الناس في
مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يخيف ضعيف
من جورك والبينة على من ادعى واليمين على من انكر والصالح جائز
بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا او احل حراما ولا يمنعك قضاء قضيته
بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك ان ترجع عنه فان الحق
قديم ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل . الفهم . الفهم عند
ما يتجلبج في صدرك مما لم يباغك في كتاب الله ولا سنة النبي صلى الله عليه
وسلم اعرف الامثال والاشياء وقس الامور عند ذلك ثم اعمد الى احبها
الى الله واشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعى حقا غائبا او بينة امدا

ينهى اليه - قوله حقا . مفعول المدعى . وقوله امدا مفعول اجعل - فان احضر بينه اخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء فان ذلك اتى للشك واجلى للعمى وابلغ في العذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد او مجريا عليه شهادة زور او ظنيئا في ولاء او قرابة فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات . ثم اياك التفاق والضجر والتأذى بالاس والنكر للخصوم في مواطن الحق التي توجب الله بها الاجر ومحسن بها الذخر فانه من بخاص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزن للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وابدى فعله والسلام عليك . وابدع من هذه الرسالة وصيته التي اوصى بها الخليفة من بعده وهي اعمرى مما يجدر ان يكتب بلذهب الابرز وقد اوردها الجاحظ في « البيان والتبيين » .

واما عثمان رضي الله عنه فهو ابن عفان بن ابي العاص بن امية وكان عنده خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سقط منه في البئر اخذ خانما من فضة نقش عليه لتصبرن اولتندمن وكان عثمان كثيرا للتلاوة للقرآن وكان يقول اني لا اكره ان ياتي علي يوم لا انظر فيه الى عهد الله يعني المصحف وكان عثمان حافظا وكان حجره لا يكاد يفارق المصحف ف قيل له في ذلك فقال انه مبارك جاء به مبارك وقال يزيد بن عياض لما نقم الناس على عثمان خرج بنوكا على مروان وهو يقول لكل امة آفة ولكل نعمة عاهة وان آفة هذه الامة عيابون طعانون يظهرون لكم ماتحبون ويسرون ما تكرهون طعام مثل النعام يتبعون اول ناعق لقد تقموا على ما تقمونه على عمر ولكن قمهم ووقمهم والله اني لا قرب ناصرا واعز نفرا فضل فضل من مالي فمالي لا افعل فيه مائسا . وقتل عثمان في فتنة كانت ام الفتن الاسلامية وهو ابن سبع وثمانين سنة وورثاه عثمان بن ثابت بقوله

فمحمّوا باتمط عنوان السجود به يقطع الليل تسيحاً وقرآنا
لتس من وشيكاً في ديارهم الله اكبر يا ثارات عثمان

واما على رضى الله عنه فهو ابن ابى طالب بن عبدالمطلب وهو اقربهم نسباً
برسول الله صلى الله عليه وسلم واكثرهم علماً وهو ممن اشتهر في القضاة كما اشتهر
زيد بن ثابت في الفرائض وابن عباس في تفسير القرآن فكان كرم الله
وجهه اقضى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وهو ايضا اخطب
الحلفاء الراشد بن وخطبه اشهر من ان نذكر وهي مجموعة في كتاب نهج
البلاغة . وقيل لعلى بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه كم بين السماء والارض
قال دعوه مستحابة فقالوا كم بين المشرق والمغرب قال مسيرة يوم للشمس
ومن قال غير هذا فقد كذب . وسئل ابن عباس عن الحلفاء الراشد بن
فوصفهم وذلك ان عيسى بن طلحة قال قلت لابن عباس اخبرني عن
ابى بكر قال كن خيراً كله على الحمد وسدة الغضب قال قلت اخبرني
عن عمر قال كان كالباطر الحذر قد علم انه قد نصب له في كل وجه حباله
وكان يعمل لكل يوم بما فيه على عتف السياق قال قلت اخبرني عن عثمان
قال كان والله صواماً قواماً لم يشده نوم عن نطقه قال قلت فصاحبكم
— يعنى عالياً — قال كان والله مملواً حلماً وعلماً غرته سابقته وقرابته
وكان يرى انه لا يطلب شيئاً الا قدر عليه قلت اتم ترونه محدوداً قال
انتم تقولون ذاك .

ومن الخطباء الذين ذكرهم الجاحظ الفضل بن عيسى الرقاشي قال وكان
الفضل من اخطب الناس وكان متكلماً وكان قاضياً مجيداً وكان يجلس
اليه عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وابان بن ابى عياش وكثير من
الفقهاء وهو رئيس الفضيلية واليه ينسبون وخطب اليه ابنته سودة بنت
الفضل سليمان بن طرخان التيمي فولدت له المعتمر بن سليمان وكان
سليمان مباناً للفضل في المقالة فلما ماتت سودة شهد جنازة المعتمر وابوء

فقدما الفضل وكان الفضل لا يركب الا الحمير فقال له عيسى بن حاضر
انك انؤثر الحمير على جميع المركوب فلم ذلك قال لما فيها من المرافق و
المنافع قال قلت مثل أى شئ قال لا تستبدل بالمكان على قدر اختلاف
الزمان ثم هي اقلها داء وايسرها دواء واسلم صريعا واكثر تصرفا
واسهل مرتقى واخفض مهوى واقل جماحا وانهر فارها واقل نظيرا
يزعم راكبه وقد تواضع بركوبه ويكون مقتصدا وقد اسرف في ثمنه .
قال وانظر يوما الى حمار قرد تحت سماء بن قبيبة فقال قعدت في وبذلة
جبار قال عيسى بن حاضر ذكبت الى حمار عزير والى حمار مسبخ الدجال
والى حمار بام . وكن بقول لو اراد ابو سياره عمارة بن اعزلة ان يدفع
بالموسم على فرس عربي او جمل مهري لفعّل ولكنه ركع عيرا
اربعين عاما لانه كان يتاله وقد ضرب به المثل فقالوا اصبح من غير سيار .
والفضل هذا هو الذي يقول في قصصه سأل الارض فقال من سقى
انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فان لم نجعل حوارا احب اليك اعتبارا
وكن عبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاسي خطيبا ايضا غير ان عبد الصمد
كان اغزر من ابيه واعجب واثق واخطب . قال وحدثني ابو جعفر الصوفي
الناص قال تكلم عبد الصمد في خلق البوضة وفي جميع ساها بلاله
مجالس تامة وكان عبد الصمد يؤثر السجع في كلامه فقل له لم تؤثر السجع
على المتثور ونلزم نفسك القوافي واوامة الوردن قال ان كلامي لو كنت
لاآمل فيه الا سماع الشاهد لقل خلافي عليك ولكني ارد العائب
والحاضر والراهن والغابر فالحفظ اليه اسرع والآذان اسماعه انشط
وهو احق بالنقيد وبقالة التفات وما تكلمت به العرب من جيد المتثور
اكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المتثور عشرة ولا
خداع من الموزون عشرة قالوا فقد قيل للذي قال يا رسول الله ارايت من
لا شرب ولا اكل ولا صاح فاستهل اليس مثل ذلك بطل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الجاهلية فقال عبد الصمد لو ان هذا

المتكلم لم يرد إلا الأقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس ولكنه عسى
 أن يكون أراد ابطالا لحق فتشادق في كلامه . وكان عم الفضل وهو يزيد
 ابن ابان الرقاشي خطيبا ايضا وكان يزيد بتكلم في مجلس الحسن وكان
 زاهدا عابدا وعالما فاضلا وكان خطيبا وفاسا مجيدا . قال الجاحظ وتمنى
 قوم عند يزيد بن ابان الرقاشي فقال اننى كما تمنيتم قالوا تمنه قال ليتنا
 لم نخلق وليتنا اذ خلقنا لم نصر وليتنا اذ عصينا لم نموت وليتنا اذ متنا لم نبعث
 وليتنا اذ بعثنا لم نحاسب وليتنا اذ حوسبنا لم نذب وليتنا اذ عذبنا لم نخلد .
 قال الجاحظ وكان ابوهم خطيبا ايضا وكذلك جددهم قال وكانوا خطباء
 الاكسرة فلما سبوا وولد لهم الاولاد في بلاد الاسلام وفي جزيرة العرب
 نزعهم ذلك العرق فقاموا في اهل هذه اللغة كقامهم في اهل تلك اللغة
 وفيهم شعر وخطب وما زالوا كذلك حتى اصهر اليهم الغرياء ففسد ذلك
 العرق ودخله الخور . قال فضل وابنه وعمد وابوه وجدده كلهم خطباء .
 ومن الخطباء زيد بن على بن الحسين وهو من خطباء بنى هاشم وسأله
 هشام مرة عما جرى بينه وبين خالد بن عبدالله فقال له زيد احلف لك
 قال واذا حلقت اصدقك فقال زيد اتق الله قال أو مملك يا زيد
 يأمر مثلى بتقوى الله فقال زيد لا احد فوق ان يوصى بتقوى الله
 ولا دون ان يوصى بتقوى الله قال هشام بلغنى انك تربد الخلافة
 ولا نصائح لها لانك ابن امة قال زيد فقد كان اسماعيل بن ابراهيم
 صلوات الله عليه ابن امة واسحاق عليه السلام ابن حرة فاخرج الله
 عز وجل من صلب اسماعيل عليه السلام خير ولد آدم محمد صلى الله
 عليه وسلم فعندها قال له هشام قم قال اذا لانراى الا حيث تكبره وبما
 خرج من الدار قال ما احب احد الحياة قط الا ذل فقال له سالم مولى
 هشام لايس من هذا الكلام منك احد . وقال محمد بن عمير ان زيدا لما
 رأى الارض قد طبقت جورا ورأى قبة الاعوان ورأى تخاذل الناس
 كانت الشهادة احب المنبات اليه وكان زيد كثيرا ما ينشد

شرّده الخوف وازرى به كذاك من يكره حراجلاد
منخرق الحفين يشدو الوجي تنكبه اطراف مرو حداد
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد

وقد نال ما احب من الشهادة اذ قتله يوسف بن عمر احد عمال
هشام وبعث اليه برأسه مع شبة بن عفال . وقال الفيظري قيل لعبدالله
ابن الحسن ما تقول في المرء قال ماعسى ان اقول في شئ يفسد الصداقة
القديمة ويحتل العقدة الوثيقة وان كان لاقل ما فيه ان يكون دربة للمغالبة
والمغالبة من امن اسباب الفتنة . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتاه
السائب بن صيفي فقال أتعرفني يا رسول الله قال كيف لا اعرف شريكى
الذى كان لا يشاربنى ولا يمارئنى . قال فتحولت الى زيد بن علي فقلت
له الصمت خير ام الكلام فقال اخزى الله المساكتة فما افسدها للبيان
واجلبها للحصر والله للمماراة اسرع في هدم الحى من النار في يبس
العرفج ومن السيل في الحدور . قال الجاحظ وقد عرف زيد ان المماراة
مذمومة ولكنه قال المماراة على ما فيها اقل ضررا من المساكتة التى
تورث البلدة وتحل العقدة وتفسد المنة وتورث عللا وتولد ادواء ايسرها
الحى فالى هذا المعنى ذهب زيد .

ومن الخطباء سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن امية وكان
سعيد جوادا ولم ينزع قميصه قط وكان اسود نحيفا وكان يقال له عكة
العسل وفيه يقول الخطيئة

سعيد فلا يغرك قلة لحمه تحدد عنه اللحم وهو صليب

وكان اول من خشن الابل في نفس عظم الاتف وكان واليا في الكوفة
وكان في تديره اضطراب وكانت الامراء تحجب الى الرعية بزيادة المنكايل
اما هو فتقمها ولم يزد فيها . وفي ذلك يقول بعض رجاز الكوفة

ياويلتا قد ذهب الوليد وجاءنا مجوعا سعيد

ينقص في الصاع ولا يزيد

وكان ابنه من الخطباء ايضا وهو عمرو بن سعيد وكان يسمى الاشداق
يقال ان ذلك انما قيل له لتشادقه في الكلام وقال آخرون بل كان اقم
مائل الذقن ولذلك قال له عبيد بن زياد حين اهوى بيده الى عبدالله بن
معاوية (يدك عنه يا لعيم الشيطان ويا عاصي الرحمن) وهذا خلاف ما بدل
عليه قول الشاعر فيه

تشادق حتى مال بالقول شدقه وكل خطيب لا ابالك اشدق

وكان معاوية قد دعا به مرة في غلطة من قريش فلما استنطقه قال ان
اول كل مركب صعب وان مع اليوم غدا . وقال له معاوية الى من اوصى
بك ابوك قال ان ابني قد اوصى الى ولم يوص بي قال وبأى تى اوصاك
قال بان لا يهقد اخوانه منه الا ننخسه فقال معاوية عند ذلك ان ابن
سعيد هذا هو الاشداق . فهذا ايضا يدل على انه انما سمي الاشداق لمكان
التشادق . ثم كان بعد عمرو بن سعيد سعيد بن عمرو بن سعيد خطيبا
ايضا كابيه وجده وكان ناسبا ايضا وكان اعظم الناس كبرا وقيل له عند
الموت ان المريض ليسترخ الى الانين والى ان يمضى ما به الى الطيب
فقال

اجاليد من ريب المنون فلا ترى على هالك عينا لنا الدهر تدمع

ودخل على عبدالملك مع خطباء قريش واشرافهم فتكلموا من قيام
وتكلم وهو جالس فتبسم عبدالملك وقال لقد رجوت عثرته ولقد
احسن حتى خفت عثرته . فسعيد بن عمرو بن سعيد خطيب ابن خطيب
ابن خطيب .

ومن الخطباء سهيل بن عمرو الاعلام احدي حسلى بن معيص وكان

يكنى ابا يزيد وكان عظيم القدر شريف النفس صحيح الاسلام وكان قبل
اسلامه يخطب ضد النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمر بن الخطاب قال
لنبي يارسول الله اترع ثنيته السفلين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك
خطيبا ابدأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا امثل فيمثل الله بي
وان كنت نبياً دعه يا عمر فعسى ان يقوم مقامنا نحمده . ثم انه اسلم فلما
هاج اهل مكة عند الذي بلغهم من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام خطيباً فقال ايها الناس ان يكن محمد قد مات فان الله حي لم يمت وقد
علمتم اني اكثركم قبا في بر وجارية في بحر فاقروا اميركم وانا ضامن ان لم
يتم الامر ان اردوها عليكم . فسكن الناس . ووقف مرة على باب عمر بن الخطاب
هو وعتيبة بن حصن والاقرع بن حابس وجماعة من غيرهم فخرج الآذن
فقال ابن بلال أين صهيب ابن سليمان ابن عمار ولم يذكر غير هؤلاء
فتمعرت وجوه القوم فقال سهيل لم تتمعروا وجوهكم دعوا ودعينا فاسرعوا
وابطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر .
ومن الخطباء من خزاعة بن مازن ابو عمرو وابو سفيان ابنا العلاء
ابن عمار بن العريان فاما ابو عمرو فكان اعلم الناس بامور العرب مع صحة
سماع وصدق لسان . قال الجاحظ وحدثني الاصمعي قال جاست الى ابى
عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج بيت اسلامي قال وقال مرة لقد كثر
هذا المحدث وحسن حتى هممت ان امر قتيانا بروايته يعني عمر جرير
والفرزدق واشباههما . قال الجاحظ وحدثني ابو عبيدة قال كان ابو عمرو
اعلم الناس بالعرب والعربية وبالفراة والشعر وايام الناس قال وكانت
كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من
السقف ثم انه تقرأ فاحرقها كلها فلما رجع بعد الى علمه الاول لم يكن
عنده الا ما حفظه بقلبه وكان عامة اخباره عن اعراب قد ادركوا الجاهلية
وفي ابى عمرو بن العلاء يقول الفرزدق

مازلت افتح ابوابا واغلقها حتى آتيت ابا عمرو بن عمار

قال الجاحظ فاذا كان الفرزدق وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب اخبارهم يقول فيه مثل هذا القول فهو الذي لا يشك في خطابه وبلاغته وقد قال يونس لولا شعر الفرزدق لذهب نصف اخبار الناس وفي ابي عمرو بن العلاء يقول مكي بن سودة

الجامع العلم تنسأ ويحفظه والصادق القول ان انداده كذبوا وكذلك اخوه ابو سفيان بن العلاء كان ناسبا خطيبا وكلاهما كناه اسمائهما .

ومن الخطباء خالد بن سلمة المخزومي من قريش وهو ذو الشفة قال الشاعر

فما كان قائلهم دغفل ولا الحيقطان ولا ذو الشفة

واجتمع يوما بجحذب التميمي وهو خطيب ايضا فقال له والله ما انت من حنظلة الا كرمين ولا سعد الا كثيرين ولا عمرو الاسديين وما في تميم خير بعد هؤلاء فقال له جحذب والله انك لمن قريش وما انت من بيتها ولا ثبوتها ولا من شوارها وخلاقها ولا من اهل سداتها وسفايتها .

واما دغفل المذكور في قول الشاعر المتقدم فهو دغفل بن يزيد ابن حنظلة الخطيب الناسب واما الحيقطان فهو عبد اسود وكان خطيبا لا يجارى . وقال عبد الملك الحلال بن سلمة المخزومي من اخطب الناس قال انا قال ثم من قال سيد جزام يعني روح بن زنباع قال ثم من قال اخيفش ثقيف يعني الحجاج قال ثم من قال امير المؤمنين قال ويحك جعلتني رابع اربعة قال نعم هو ما سمعت . وذكر الجاحظ دغفلا وقال لم يدرك الناس مثله لسانا وعلماء وحفظا قال ومن هذه الطبقة زيد بن الكيس النمرى من بني هلال وقال سهاك العكلي

فسائل دغفلا واخا هلال ونخارا ينبؤك اليقينا

فاخو هلال هو زيد بن الكيس وبنو هلال حى من النمر بن قاسط .
ومن الخطباء عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمى العائشى وكان ابوه
زياد خطيبا ايضا ودخل عبيد الله على ابيه وهو يكيد بنفسه فقال له ابوه
ألا اوصى بك الامير زيادا قال لا قال ولم قال اذا لم يكن للحى الاوصية الميت
فالحى هو الميت . واخذ هذا المعنى بعض الشعراء فنظمه فقال

اذا ما الحى عاش بظل ميت فذاك الميت حى وهو ميت

وكان عبيد الله اقتك الناس واخطب الناس وهو الذى اتى باب ملك
ابن مسمع ومعه نار ليحرق عليه داره وقد كان نابه امر فلم يرسل اليه
قبل الناس فاشرف عليه ملك وقال مهلا يا ابا مضر فوالله ان فى كنانتى
سهما اثابه اوثق منى بك قال وانك لتعدتنى فى كنانتك فوالله لو ان قت
فيها لطلنها ولو قعدت فيها لخرقها فقال ملك مهلا اكثر الله فى العشيرة
مثلك قال لقد سألت الله شظطا .

ودخل عبيد الله على عبد الملك بن مروان بعد ان اتاه برأس مصعب
ابن الزبير ومعه ناس من وجوه بكر بن وائل فاراد ان يقعد معه على
سربره فقال له عبد الملك ما بال الناس يزعمون انك لاتشبه اباك قال والله
لانا اشبهه بابى من الليل بالليل والغراب بالغراب والماء بالماء ولكن ان
شئت انبأتك بمن لا يشبه اياه قال ومن ذاك قال من لم يولد لتمام ولم تنضجه
الارحام ولم يشبه الاخوان والاعمام قال ومن ذاك قال ابن عمى سويد
ابن منجوف قال عبد الملك أو كذلك انت ياسويد قال نعم فلما
خرجا من عنده اقبل عليه سويد فقال وريت بك زنادى
والله مايسرنى انك نقصته حرفا واحدا مما قلت له وان لى حمرا نعم قال
وانا والله مايسرنى بمملك اليوم عنى سودا نعم . قلت لله در عبيد الله كيف
قدر ان يرد على عبد الملك قوله فى وجهه مواربة من حيث لم يدعه يشعر

بذلك والله دّر سويد حيث علم ما اراد عبيد الله فصدقه. وقال اشيم بن شقيق ابن ثور لعبيد الله بن زياد بن ظبيان ما انت قائل لربك وقد حملت رأس مصعب بن الزبير الى عبد الملك بن مروان قال اسكت فانت يوم القيامة اخطب من صمصعة بن صوحان .

ومن الخطباء الذين لا يظاهون ولا يجارون عبد الله بن عباس قالوا خطبنا بمكة وعثمان رضى الله عنه محاصر خطبة لو شهدتها الترك والديلم لاسلمتا وذكره حسان بن ثابت فقال

اذا قال لم يترك مقالا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فضلا
كفى وتنفي ما فى النفوس ولم يدع لذي اربة فى القول جدا ولا هزلا
سموت الى اعلى بغير مشقة قلت ذراها لادنيا ولا وعلا

قال الحسن كان عبد الله بن عباس اول من عرف بالبصرة سعد المنبر فقرا البقرة وآل عمران ففسرها حرقا وحرقا وكان والله متجايسل غربا وكان يسمى البحر وحبر قريش وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم فقهمه فى الدين وعلمه التأويل . ونظر اليه عمر وهو يتكلم فقال شنشنة اعرفها من اخزم اراد عمر رضى الله عنه انى اعرف فيك مشابهة لابيك فى رأيه وعقله . ويقال انه لم يكن لقرشى مثل رأى العباس ويقال ايضا انه لم يربنو اب ابعد قبورا من بنيه عبد الله بن عباس بالطائف والاضل بالشام وعبيد الله بالمدينة وقم بسمرقند وسعد بافريقية .

ومن خطباء بنى هاشم ايضا داود بن علي وكان يكنى ابا سليمان وكان انطق بالناس واجودهم ارتجالا واقتضا بالقول ويقال انه لم يتقدم فى تمخير خطبة قط قال الجاحظ وله كلام كثير معروف محفوظ فمن ذلك خطبه على اهل مكة (شكرا شكرا اما والله ما خرجنا لنحتفر فيكم نهرا ولا لبنى فيكم قصرا اظن عدو الله ان لم نظفر به ان ارخى له فى زمامه حتى عثر فى فضل خطامه فالآن عاد الامر فى نصابه وطلعت

الشمس من مطلعها واخذ القوس باريها وعاد النبل الى التزعة ورجع الامر الى مستقره في اهل بيت نيكم اهل بيت الرأفة والرحمة) قات وفي كلامه هذا القليل تكرار كثير كما ترى .

ومن خطباء بني هاشم ثم من ولد جعفر بن سليمان سليمان بن جعفر والى مكة قال المكي سمعت مشايخنا من اهل مكة يقولون انه لم يرد عليهم امير منذ عقلوا الكلام الا وسليمان ابن منه قاعدا واخطب منه قائما . ومن الخطباء خالد بن صفوان الاهتمي وكذلك ابوه صفوان بن عبد الله ابن الاهتم كان خطيبا رئيسا . قال الجاحظ زعموا جميدا انه اى خالد بن صفوان كان عند ابي العباس امير المؤمنين وكان من سماره واهل المنزلة عنده ففخر عليه ناس من باحارث بن كعب واكثروا في القول فقال ابو العباس لم لا تنكلم يا خالد فقال اخوال امير المؤمنين وعصبته قال فانتم اعمام امير المؤمنين وعصبته قال خالد وما عسى ان اقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس فرد وراكب عرد دل عليهم هدهد وغرقهم فارة وملكهم امرأة . قال الجاحظ فلئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام فانه للراوية الحافظ والمؤلف المجيد ولئن كن هذا نبيا حضره حين حرك وبسط فماله نظير في الدنيا قال فتأمل هذا الكلام فانك ستجده ما يحا مقبولا وعظيم القدر جليلا ولو خطب اليماني بلسان سحبان وائل حولا كريتا ثم صدك بهذه الفقرة ما قامت له قائمة . قال وكان خالد اذ كر الناس لاول كلامه واحفظهم اكل شئ سلف من منطقه وقال مكي بن سواده في صفته له

علمم بتنزيل الكلام ما لقن ذكور لما سداه اول اول
يبتد قريع القوم في كل محفل وان كان سحبان الخطيب ودغفلا
ترى خطباء الناس يوم ارتجاله كأنهم الكروان عاين اجدلا

وكان خالد يقارض شيب بن شيبه لاجتماعهما على القرابة والمجاورة

والصناعة فذكر شبيب عنده مرة فقال ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية. قال الجاحظ وهذا كلام ليس يعرف قدره الا الراسيخون في هذه الصناعة وهو يدل على ان خالدا يحسن ان يسب سب الاشراف وكان خالد جميلا ولم يكن بالطويل فقالت له امرأة انك لجميل يا اباصفوان قال وكيف تقولين هذا وما في عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه فقل له ما عمود الجمال فقال الطول ولست بطويل ورداؤه البياض ولست ببيض وبرنسه سواد الشعر وانا استمط ولكن قولي انك للمليح ظريف قال الجاحظ وللكلام خالد كتاب يدور في ايدي الوراقين .

ومن الخطباء حنظلة بن ضرار وهو من خطباء بني ضبة وقد ادرك الاسلام وطال عمره حتى ادرك يوم الجمل وقيل له مابق منك قال اذكر القديم وانسى الحديث وارق بالليل وانام ونسط القوم . ومن خطباء بني ضبة وعلمائهم مشجور بن غيلان بن خرشة وكان مقدما في المنطق وهو الذي كتب الى الحجاج انهم قد عرضوا على الذهب والفضة فما ترى ان آخذ قال ارى ان تأخذ الذهب فذهب عنه هاربا ثم قتله بعد . وذكره القلاخ بن حزن المقرئ فقال

امثال مشجور قليل ومثله فتي الصدق ان صفقته كل مصفق
وما كنت اشربه بدنيا عريضة ولا بابن خال بين غرب ومشرق
اذا قال بذالقائلين مقالاه ويأخذ من اكفائه بالخلق

ومن خطباء الخوارج قطري بن الفجاءة احد بني كنانة بن حرقوص وكنيته ابو نعام في الحرب واما في السلم فكنيته ابو محمد . وقد ذكر الجاحظ غيره ممن كانت لهم كنيستان في الحرب والسلم منهم عامر ابن الطفيل كانت كنيته في الحرب ابا عقيل ويكنى في السلم بابي علي . ومنهم يزيد بن مزيد يكنى في السلم بابي خالد وفي الحرب بابي الزبير . وهو اعني قطري بن الفجاءة احد رؤساء الازارقة وكان خطيبا فارسا خرج

في زمن مصعب بن الزبير وبقي عشرين سنة وكان آخر من بعث اليه
سفيان بن الابرود الكلبي وقتله سورة بن الجبر الدارمي من بني ابان بن
دارم وله خطبة طويلة مشهورة سند كرها في الخطب .

ومن خطباء الخوارج ابن صديقة وهو القاسم بن عبد الرحمن بن صديقة
وكان صفريا خطيبا ناسبا ويشوبه ببعض الظرف والهزل ومن علماء
الخوارج شميل بن غمرزة الضبي صاحب الغريب وكان راوية خطيبا
وشاعرا ناسبا وكان سبعين سنة رافضيا ثم انتقل خارجيا صفريا .

ومن علماء الخوارج وخطبائهم وأئمتهم الضحاك بن قيس أحد بني
عمرو بن محلم بن ذهل بن شيان ويكنى ابا سعيد وقد ملك العراق وسار
في خمسين الفا وبايعه عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز وسليمان بن هاشم بن
عبد الملك وصليا خلفه وقال شاعرهم

ألم تر ان الله اظهر دينه وصلت قریش خلف بكر بن وائل .

ومن خطبائهم وعلمائهم نصير بن ملحان وكان الضحاك وآله الصلاة
بالناس والقضاء بينهم . ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وقعدهم
واهل الفقه منهم عمران بن حطان ويكنى اباشهاب وقد ذكرناه فيما سبق
في الخطباء الشعراء . ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم المقعطل قاضي
عسكرا لازارقة ايام قطري .

ومن الخطباء معبد بن طوق العنبري دخل على بعض الامراء فتكلم
وهو قائم فاحسن فلما جلس تلهيع في كلامه فقال له ما اطرفك قائما
واموقك فاعدا قال اني اذا قت جدت واذا قعدت هزلت فقال له
ما احسن ما خرجت منها .

ومن خطباء العرب المشهورين الذين يضرب بهم المثل في الفصاحة
والبيان سحبان وائل وله خطبة مشهورة تسمى الشوهاة وقيل ذلك لها
من حسناتها فان الشوهاة كما تطلق على القبيحة تطلق على الجميلة ايضا فهي

من الاضداد في اللغة . وذلك انه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعرا ولم يخطب خطيب . قال الجاحظ والعرب قد ذكروا من خطب العرب العجوز وهي خطبة لآل رقية ومضى تكلموا فلا بد لهم منها او من بعضها والمذراء وهي خطبة قيس بن خازجة لانه كان ابا عذرها والشوهاء وهي خطبة سحبان وائل .

ومن خطباء العرب ابو عمار الطائي كان خطيب مذحج كلها فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادته وكان النعمان احمر العينين احمر الجلد احمر الشعر وكان شديد العريضة قتالا للندماء . فهاه ابو قردودة الطائي عن منادته فلما قتله رثاه فقال

اني نهيت ابن عمار وقلت له لا تأمنن احمر العينين والشره
ان الملوك متى تنزل بساحتهم تطر بئارك من نيرانهم شرده
يا جفنة كازاء الحوض قد هدموا ومنطقا مثل وتى اليمنة الحبره

ومن خطباء غطفان في الجاهلية خويلد بن عمرو العنبراء بن جابر بن عتيق ابن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة . وهو خطيب يوم الفجار المشهور من ايام العرب .

ومن الخطباء القدماء كعب بن لؤي وكان يخطب على العرب عامة ويحضر كنانة خاصة على البر فلما مات اكبروا موته فلم تزل كنانة تؤرج بموت كعب بن لؤي الى عام الفيل

ومن الخطباء مرة بن فهم التليد من خطباء عمان وهو الخطيب الذي اوفده المهلب الى الحجاج . ومن خطباء اليمن ثم من حمير الصباح بن شق الحميري وكان اخطب العرب . ومنهم ثم من الانصار قيس بن الشماس . ومنهم ثابت بن قيس بن الشماس وهو خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ومن خطباء الانصار سعد بن الربيع وهو الذي اعترضت ابنته النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها من انت فقالت ابنة الخطيب التقيب الشهيد سعد بن الربيع .

ومن الخطباء الأبناء العلماء الذين جروا من الخطابة على أعراق قديمة شيب بن شيب بن عبد الله بن عبد الله بن الأهم ويقال أنهم لم يروا قط خطيباً بلدياً الا وهو في أول تكلفه لتلك المقامات كان مستقلاً مستصفاً أيام رياضته كلها الى ان بتوقع وتستجيب له المعاني ويتمكن من الالفاظ الا شيب ابن شيب فانه ابتداءً بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره وقال الراجز .

إذا غدت سعد على شيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس الى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

قال الجاحظ وحدثني صالح بن خافان قال قال شيب بن شيب الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء ويمدح صاحبه وانا موكل بتفضيل جودة القطع ويمدح صاحبه وحظ جودة القافية وان كانت كلمة واحدة ارفع من حظ سائر اليت ثم قال شيب فان ابنيت بمقام لا بد لك فيه من الاطالة فقدم احكام البلوغ في طلب السلامة من الخطل قبل التقدم في احكام البلوغ في شرف التجويد واياك ان تعدل بالسلامة شيئاً فان قليلاً كافياً خير من كثير غير شاف . وقال شيب بن شيب اطاب الادب فانه دليل على المروءة وزيادة في العقل وصاحب في العربية وصلة في المجلس . وقال شيب للمهدى يوما اراك الله في بينك ما ارى اباك فيك واراى الله بينك فيك ما اراك في ابيك . وقال المهدى . كان شيب بن شيب يسايرني في طريق خراسان فيتقدمني بصدر دابته وقال لي يدعى لمن ساير خليفة ان يكون بالموضع الذي اذا اراد الخليفة ان يسأله عن شيء لا يلتفت اليه ويكون من ناحية ان التفت لم تستقبله الشمس قال فينا نحن كذلك اذا اتينا الى مخاضة فاقحمت دابتي ولم يقف واتبعني فلا ثيابي ماء وطينا قال فقات يا انا معمر ليس هذا في الكتاب .

ومن الخطباء المصاقع جعفر بن يحيى بن خالد قال ثمامة بن اشرس كان جعفر بن يحيى انطق الناس قد جمع الهدو والتمهل والجزالة والحلاوة وافهم اما يغنيه عن الاعداء ولو كان في الارض ناطق يستغنى بمنطقه عن الاشارة لاستغنى جعفر عنها كما استغنى عن الاعداء. وقال مرة ما رأيت احدا كان لا يتحسس ولا يتوقف ولا يتاجلج ولا يتنحج ولا يرتقب انظا قد استدعا من بعد ولا يلتمس التخاص الى معنى قد تعصى عليه طلبه اشد اقدارا ولا اقل تكلما من جعفر بن يحيى. واشهر جعفر بحسن التوقيع. قال الجاحظ قال جعفر بن سعيد رضيع ايوب بن جعفر وحاجبه قال ذكرت لعمر بن مسعدة توقعات جعفر بن يحيى فقال قد قرأت لام جعفر توقعات في حواشي الكتب واساقلها فوجدتها اجود اختصارا واجمع للمعاني وقال ثمامة سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتابه ان استطعتم ان يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا.

ومن الخطباء ثمامة بن اشرس الذي وصف لنا جعفر بن يحيى المتقدم ذكره آنفا بما وصف. قال الجاحظ وهذه الصنات التي ذكرها ثمامة ابن اشرس فوصف بها جعفر بن يحيى كان ثمامة قد انتظمها لنفسه واستولى عليها دون جميع اهل عصره قال وما علمت انه كان في زمانه قروي ولا بلدي كان بلغ من حسن الافهام مع قلة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلده وكان لفظه في وزن اشارته ومعناه في طبقة لفظه ولم يكن لفظه الى سمعك باسرع من معناه الى قلبك. وقال بعض الكتاب معاني ثمامة الظاهرة في الفاظه الواضحة في مخارج كلامه كما وصف الحزيمي شعر نفسه في مديح ابي داف حيث يقول

له كلم فيك معقولة ازاء القلوب كركب وقوف

ومن الخطباء زرعة بن ضمرة من بني هلال بن عامر وهو الذي

قيل له لولا غلوّ فيه ما كان كلامه الا الذهب . وقام عند معاوية بالشام خطيبا فقال معاوية يا اهل الشام هذا خالى فأتوني بخال مثله . وكان ابنه النعمان بن زرة بن ضمرة من اخطب الناس وهو احد من كان تخاص من الحجاج من قتل ابن الاشعث بالكلام اللطيف .

ومن الخطباء الحجاج بن يوسف الثقفى وهو الذى ولى العراق عشرين سنة ومات فى ايام الوليد بن عبدالك بواسط المدينة التى بناها هو فى العراق وكانت وفاته فى رمضان سنة خمس وتسعين وله ثلاث وخمسون سنة . وقال ابن العربى فى المسامرات ان عدد من قتلهم الحجاج صبرا مائة وعشرون الفا قال ومات فى حبسه خمسون الف رجل وثلاثون الف امرأة . وكان الحجاج صغير العينين اخيفش مسلق الاجفان ولذلك قال ابن ارقم النيرى وكان الحجاج جعله على بعض شرط ابان بن مروان ثم حبسه فلما خرج قال

طليق الله لم يمني عليه ابوداود وابن ابى كثير
ولا الحجاج عني بنت ماء تقلب طرفها حذرا الصقور

لان طير الماء لا يكون ابدا الامسلق الاجفان . قال ابوالحسن المدائنى قال الحجاج لانس بن مالك حين دخل عليه فى شأن ابنه عبدالله وكان خرج مع ابن الاشعث لا مرحبا بك ولا اهلا لعنة الله عليك من شيخ جوال فى الفتنة مرة مع ابى تراب ومرة مع ابن الاشعث والله لا قلعتك قلع الصمغة ولا عصبتك عصب السلمة ولا جردتك تجريد الضب . قال انس من يعنى الامير ابقا الله قال اياك اعنى اصم الله صداك . قال فكتب انس بذلك الى عبد الملك فكتب عبد الملك الى الحجاج بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن المستغربة بعجم الزبيب والله لقد هممت ان اركلك برجلي ركلة تهوى بها فى نار جهنم قاتلك الله اخيفش العينين اصك الرجلين اسود الجاعرتين والسلام . وقوله اصك الرجلين تصك احداها الاخرى عند المشفى

وقول الحجاج لانس لاعصبتك عصب السلعة معناه لاشدن يدك
ورجليك لان الرعاة تعصب اغصان الاشجار بعضها الى بعض وتخططها
بالعصى حتى يسقط الورق فترعاء الماشية. قال ابو الحسن وغيره اراد الحجاج
الحج فخطب الناس فقال ايها الناس اني اريد الحج وقد استخلفت عليكم
ابن محمد هذا واوصيته بخلاف ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى ان يقبل من محسنهم
ويتجاوز عن مسيئهم ألا واني قد اوصيته ان لا يقبل من محسنكم ولا
يتجاوز عن مسيئكم ألا وانكم ستقولون مقالة ما يمنعكم من اظهارها الا
مخافتي ألا وانكم ستقولون بعدى لا احسن الله له الصحابة ألا واني معجل
لكم الاجابة لا احسن الله الخلافة عليكم ثم نزل . وكان يقول في خطبه
ايها الناس ان الكف عن محارم الله ايسر من الصبر على عذاب الله. وخطب
الحجاج يوما فقال ان الله امرنا بطالب الآخرة وكفانا مؤنة الدنيا
فليتنا كفينا مؤنة الآخرة وامرنا بطالب الدنيا . فسمعها الحسن البصري
فقال هذه ضالة المؤمن خرجت من قاب المنافق . ولقي الحجاج اعرابيا
فقال له ما بيدك قال عصا اركرها اصلاتي واعدتها لعداتي واسوق بها
دابتي واقوى بها على سفرى واعتمد عليها في مشيتى ليتسع خطوى
واثب بها على الهر وتؤمننى العثر والقي عليها كسائي فيقيني الحر ويمجئني
القر وتدني الى ما بعد عني وهي تحمل سفرتي وعلاقة اداوتي اقرع بها
الابواب والقي بها عقور الكلاب وتنوب عن الرمح في الطعان وعن السيف
عند منازلة الاقران ورتتها عن ابى وساورتها ابني من بعدى واهش بها
على غنى ولي فيها ما رب اخرى . فهت الحجاج وانصرف .

قال الهيثم بن عدى قدمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك
بعدها استخلف وكان حاقدا على الحجاج يبغضه اشدا بغض قاصر الوفود
بشتم الحجاج فقاموا يشتمونه فقال بعضهم ان عدوا لله الحجاج كان زبانا

قوّر بن قنور لانسب له في العرب فقال سليمان أي شتم هذا ان عدو الله الحجاج كتب الى . انما انت نقطة من مداد فان رأيت في مارأي ابوك واخوك كنت لك كما كنت لهما والا فانا الحجاج وانت النقطة فان شئت محوتك وان شئت اثبتك فالعنوه لعنه الله . فاقبل الناس يا عنونه فقام ابن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري فقال يا امير المؤمنين انا نخبرك عن عدو الله بعلم قال هات قال كان عدو الله يتزين تزين المومسة ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الاخيار فاذا نزل عمل عمل الفراغة واكذب في حديثه من الدجال فقال سليمان لرجاء بن حيوة هذا وايبك الشتم لا ما تأثني به السفلة وقوله زباب هو كسحاب فار عظيم اصم تضرب العرب به المثل في السرقة فتقول اسرق من زبابة والفور الشرس الصمب .

وخطب الوليد بن عبد الملك فقال ان امير المؤمنين عبد الملك كان يقول ان الحجاج جلدة حلدة ما بين عيني ألا وانا جلدة وجهي كله . وقوله ان الحجاج ما بين عيني كناية عن انه عزيز مكرم عنده قال الشاعر

يديروني عن سالم واديرهم وجلدة بين العين والاتف سالم

وخطب الوليد ايضا بعد وفاة الحجاج وتوليته يزيد بن ابي مسلم مكانه فقال انما مثلي ومثل يزيد بن ابي مسلم بعد الحجاج كمن سقط منه درهم فاصاب دينارا .

وقال ابو الحسن وغيره قالوا دخل يزيد بن ابي مسلم على سليمان ابن عبد الملك وكان يزيد دميا فلما رآه سايان قال على رجل اجرّك رسنك وسلطك على المساميين لعنه الله فقال يا امير المؤمنين انك رأيتني والامر عني مدبر ولورأيتني والامر على مقبل استعظمت من امرى ما تستصغرت قال فقال سايان أفترى الحجاج بلغ قعر جهنم بعد قتل يزيد يا امير المؤمنين يحبى الحجاج يوم القيامة بين ابيك واخيك فابضا على يمين ابيك وشمال اخيك فضمه من التار حيث شئت .

وذكر صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث قال مارأيت عقول الناس الا قريبا بعضها من بعض الا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف واياس بن معاوية فان عقولهما كانت ترجع على عقول الناس كثيرا . وقال رؤية بن العجاج وابو عمرو بن العلاء انهما لم يريا قرويين افصح من الحسن والحجاج . وقال ابو الحسن قال الحجاج لمعلم ولده علم ولدى السباحة قبل الكتابة فانهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم . قال وضرب الحجاج اعناق اسرى فلما قدموا اليه رجلا ليضرب عنقه قال والله لئن كنا اسأنا في الذنب فما احسنت في العفو فقال الحجاج آف لهذه الجيف أما كان فيها احد يحسن مثل هذا . وامسك عن القتل . قال ابو الحسن اول من اجرى في البحر السفن المقيمة المسيرة غير المخرزة والمدهونة وغير ذوات الجأحي وكان اول من عمل المحامل ايضا الحجاج وفيه قال بعض الرجاز

اول عبد عمل المحاملا اخزاء ربي عاجلا وآجلا

ولمات الحجاج خرجت عجوز من داره وهي تقول

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم تتبع من كانوا لنا تبعا

ومن الخطباء واصل بن عطاء وكنيته ابو حذيفة وهو الذي زعم ان جميع المسلمين كفروا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ف قيل له وعلى ايضا فانشد

وما شرت الثلاثة ام عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

وكان واصل بن عطاء ذا لغة في حرف الراء وكان قبيح اللغة شنيعها ولا يستطيع النطق بها البتة ولكنه مع لغته في حرف الراء كان من الفصاحة بالمكان الاعلى لانه كان ذا قدرة عظيمة على البيان بحيث

كان يتجنب الرأء اذا خطب ويسقطها من كلامه اذا تكلم فجاءت خطبه خالية من شناعة تلك اللغة . قال الجاحظ ومن اجل الحاجة الى حسن البيان واعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام ابو حذيفة اسقاط الرأء من كلامه واخراجها من حروف منطقها فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ويناضله ويساجله ويتأني لسره والراحة من هجته حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما امل حتى صار لغرابته مثالا ولظرافته معلما قال ولولا استفادة هذا الخبر وظهور هذه الحال لما استجزنا الاقرار به والتأكيد له قال ولست اعنى خطبه المحفوظة ورسائله المخلدة لان ذلك يحتمل الصنعة وانما عنيت محاجة الخصوم ومثاقلة الاكفاء ومفاوضة الاخوان . واجتمع بعض الخطباء مرة عند عبدالله بن عبدالعزيز والى العراق وهم خالد بن صفوان وشيب بن شيبه والفضل بن عيسى وكان واصل ابن عطاء معهم فخطبوا وارتجل هو خطبة نزع منها الرأء فكانت مع ذلك اطول من خطبهم . وكان بشار بن برد كثير المدح لواصل بن عطاء قبل ان يدين بالرجعة ويكفر جميع الامة وكان قد فضله على خالد ابن صفوان وشيب بن شيبه والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند عبدالله ابن عمر بن عبدالعزيز فقال

ابا حذيفة قد اوتيت معجبة من خطبة بدعت من غير تقدير
وان قولاً يروق الخالدين معا لمسكت مخرس عن كل تحيير

وقال بشار ايضا

تكلف القول والاقوام قد حفلوا وحبروا خطبا ناهيك من خطب
فقام مرتجلا تغلى بداهته كمرجل القين لما حَف باللهب
وجانب الرأء لم يشعر به احد قبل التصحيف والاغراق في الطلب

وقال في كلمة له يعنى تلك الخطبة ايضا

فهذا بديه لا كتخير قائل اذا ما اراد القول زوده شهرا

وقال صفوان الانصارى في ذلك ايضا

فسائل بعبد الله في يوم حفله ، وذلك مقام لا يشاهده وغد
 اقام شسيبا وابن صفوان قبله بقول خطيب لا يجانبه القصد
 وقام ابن عيسى ثم قفاه واصل فابعد قولاً ماله في الوردى ند
 فما نقصته الرء اذ كان قادرا على تركها واللفظ مطرد سرد
 ففضل عبد الله خطبة واصل وضوعف في قسم الصلوات له الشكد
 فاقع كل القوم شكر حباثهم وقلل ذلك المضعف في عينه الزهد

والشكد هو العطاء . وبالجملة فقد كان واصل بن عطاء في تركه الرء في خطبه
 ونحاورانه آية من آيات البلاغة ولما هجا بشار واصل وصوب رأى ابليس
 في تقديم النار على الطين قال واصل عند ذلك « أما لهذا الملحد الاعمى
 المشنف المكتنى بابى معاذ من يقتله اما والله لولا ان الغيلة سبجية من
 سجايا الغالية لبعت اليه من يبيع بطنه على مضجعه ويقتله في جوف
 منزله وفي يوم حفله ثم كان لا يتولى ذلك الاعقيلى اوسدوسى » فانظر
 كيف تجنب الرء في كلامه هذا مع ما ترى من سلامته وقلة ظهور
 التكلف فيه حتى انك لاتظن به التكلف مع امتناؤه من حرف كثير
 الدوران في الكلام ألا ترى انه حين لم يستطع ان يقول بشار وابن برد
 قال المكتنى بابى معاذ وحين لم يستطع ان يقول المرعث جعل المشنف
 يدلا من المرعث والملحد بدلا من الكافر وقال ان الغيلة سبجية من سجايا
 الغالية ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية لمكان الرء وقال لبعت اليه من يبيع
 بطنه ولم يقل لا رسلت اليه من يبقر بطنه وقال على مضجعه ولم يقل فراشه .
 وكان واصل اذا اراد ان يذكر البر قال القمح والحنطة والقمح لغة شامية
 والحنطة لغة كوفية هذا وهو يعلم ان لغة من قال بر افصح من لغة من قال
 قمح او حنطة قال قطرب انشدنى ضرار بن عمرو قول الشاعر في واصل

ويجعل البر قمحا في تصرفه
 ولم يطق مطرا والقول يعجله
 وجانب الرء حتى احتال للشعر
 فعاد بالغيث اشفاقا من المطر

قال وسألت عثمان البري كيف كان واصل يصنع في العدد فكيف كان يصنع بعشرة وعشرين واربعين وكيف كان يصنع في القمر والبدر ويوم الإربعاء وشهر رمضان وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب فقال مالى فيه قول الاما قال صفوان:

ملقن ملهم فيما يحاوله جم خواطره جواب آفاق

وكان واصل طويل العنق جدا وكان يلقب بالغزال قال بشار :

مالى اشايغ غزالا له عنق كنتنق الدوان ولى وان مثلا

ومما يدل على انه كان غزالا قول اسحاق بن سويد العدوى

برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب

ومن قوم اذا ذكروا عليا يردون السلام على السحاب

والكنى احب بكل قلبي واعلم ان ذاك من الصواب

رسول الله والصديق حبا به ارجو غدا حسن المآب

وقال قوم ان واصل بن عطاء لم يكن غزالا وانما قيل له الغزال

لكثرة جلوسه في سوق الغزالين الى ابى عبدالله مولى قطن الهلالي

فقول الناس واصل الغزال هو كقولهم لخالد الفقيه خالد الحذاء مع انه

لم يكن حذاء بل كان ايضا يكثر الجلوس في سوق الحذائين وكقولهم

هشام الدستواني لان الاباضية كانت تبعث اليه من صدقاتها بثياب دستوانية

فكان يكسوها الاعراب الذين يكونون بالحجاب فاجابوه الى قول

الاباضية وكانوا قبل ذلك لا يزوجون الهجناء فاجابوه الى التسوية وزوجوا

هينا . وكما قالوا ابو مسعود البدرى لانه كان نازلا على ذلك الماء وكما قالوا

ابو ملك السدى لانه كان يبيع الحمر في سدة المسجد . فهذا هو احتجاج

الذين زعموا ان واصل لم يكن غزالا ومهما كان فان واصل كان يلقب

بالغزال سواء كان غزالا او لم يكن .

قد ذكرنا لك جملة من الخطباء الاولين ممن ذكرهم الجاحظ في كتاب

اليان ولكن لاعلى هذا الترتيب الذى رتبناه ولقد ضربنا صفحا عن ذكر كثيرين منهم اذ ليس من غرضنا استقصاء الخطباء هنا وانما اثبتنا منهم هذه الجملة ليكونوا نموذجا للقارى وقدوة لمن حاول هذه الصنعة ونزرع فى منطق هذه النزعة ولنذكر الآن بعض من عرفنا من خطباء عصرنا نقول .
العرب اليوم اشبه بنى اسرائيل وهم فى التيه وشرح هذه القضية يطول سوى اننا نقول ان فساد اللسان وجور الزمان واختلال السليقة وضعف السجايا وخور العزائم واختلاف الاهواء لمن الاسباب التى انزلت العرب اليوم فى الدرك الاسفل من المحشر البشرى بعد ان صبغهم بصبغة اعجمية وجعلتهم عبيدا متفرقين شذر مذر . وان تثبت ان تجمع هذه الاسباب كلها تحت سبب عام فقل الجهل الطويل العريض الصفيق الوثيق الذى هو على حد قول الشاعر

ومانت ممن يجهل العام وحده بل الجهل ايضا بل وجهلك بالجهل
اذا كان الامر كذلك فلا عجب ان نجد خطباء العربية قليلين فى هذا العصر مدودين بالاصابع لاننا اليوم فى زمان نشد فيه

اتى الزمان بنوء فى شيبته فسرتم واتيناء على الهرم
فم خطباء العصر الذين عرفناهم عبدالعزير التونسى وقد اجتمعت به فى قسطنطينية قبل بضع سنين فرأيت من اين الناس وكنت معجبا بحسن بيانه جدا وهو يتكلم بالعربية الفصحى دون تلجاج ولا تلثم وقد اخبرونى عنه انه يخطب بالفرنساوية كما يخطب بالعربية .

ومنهم الشيخ عبدالعزير شاوئش العالم التحرير والكاتب الشهير صاحب مجلة الهداية وله كتب ورسائل مشهورة وله تفسير للقرآن بديع جدا وهو من زعماء الحزب الوطنى فى مصر وقد اثار بكتاباته حربا عوانا على الانكليز بمصر وكان قدناؤه فى مجرى السياسة خديوى مصر عباس حلمى باشا الذى كان من ديدنه التجوع للانكليز وضايقته الحكومة

المصرية حتى اضطر ان يارح القاهرة وقدم القسطنطينية فانضم الى حزب
الاتحاديين فيها وهناك تعرفت به وكثيرا ما زرته وجاست اليه ثم ان
الحكومة المصرية طلبته مرة من حكومة القسطنطينية ولم يكن الحكم
اذ ذاك للاتحاديين بل كان رئيس الوزارة يومئذ احمد مختار باشا الملقب
بالغازي فاسلمه احمد مختار باشا الى الحكومة المصرية فشق ذلك على
الاتحاديين واستأوا منه وابتأسوا به وقد قلت في ذلك قصيدة اخاطبه بها
قلت فيها بعد ذكر ماجرى

ان العلى همست اليك بسرها	ولقد فهمت كلامها المهموسا
فهضت بين المسلمين تلهم	وتجد منهم مخلقا ودريسا
فرماك منهم حاسدوك بتهمة	ملاؤا الفضاء بزورها تدليسا
ان يبغضوك فان حبك لم يزل	في قاب كل موحد مغروسا
والشمس تشهد ان فضلك مثلها	يحي النفوس ويقتل الخديسا
يا ليت شعري أى كاس مرة	لك اذ هقوا مذجروك ابوسا
وبأى ساسلة رموك مكبلا	وبأى سجن ثادروك حيسا
قد بتت من جزع عاك منجما	في الليل عنك اسائل البرجيسا
ان يسجنوك فان ذكر مطلق	يحنى الثناء ويقطف التقديسا
او يوحشوك بقعر سجنك مردا	فالحق عندك قد افام ايسا
ولئن لقيت اذى فكم من مصالح	لنى الاذاة منفعجا متعوسا

ومن خطباء العصر الامير شكيب ارسلان وهو عربى قح من ذوى
الفصاحة واللسن يتكلم بكلام الاعراب الاقحاح وقد برز في صناعتي
المنظوم والمنثور وهو في كليهما ينسج ينسج البداة على منوال الحضارة
فترى في شعره وكتابانه جزالة البدوى ورقة الحضرى وهل هو
في كتابته ابرغ منه في شعره او الامر بالعكس هذا ما اتردد في الجواب
عليه الآن لان الذى قرأته من رسائله واشعاره في الصحف السيارة قليل
جدا بالنسبة الى مافاتى ولم اره والحكيم البات متوقف على استقرار ذلك

واستقصائه . والامير شكيب من بيت رفيع العماد من امراء لبنان ويقال ان نسبه ينتهي الى النعمان بن المنذر .

ومن الخطباء الشيخ صالح الشريف التونسي وهو من العلماء الفضلاء وقد شهدت له خطبة خطبها مرة في قسطنطينية تكلم فيها على العصية القومية بكلام احسن فيه الا اني رأيت يتشادق في القول .

ومن الخطباء الشيخ اسعد شقير وهو ذوبداهة فاق فيها على خطباء عصره فتراه اذا خطب متجايقتضب الكلام اقتضابا الا انه من جهة الفاظه لا يعد من المبرزين في الفصاحة وهو مع ذلك مكثار يكاد في كثرة كلامه ينجح الى الثثرة وقد شهدت بعض خطبه في قسطنطينية وهو يحسن الخطابة بالتركية ايضا كالعربية .

ومن الخطباء محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس وهو عالم فاضل ذو بحث وتنقيب في العام لا يجاريه فيه احد وهو من مشاهير الكتاب في هذا العصر بارع جدا في ترسله الا انك تحس في كتابته بشئ من الجفاف ووحدانية السياق وذلك مغتفر في جنب ما ترى فيها من السهولة وحسن الاتساق ومحمد كرد علي اول صديق صادقته على الغياب اذ كنت اكتبه وهو بمصر حيث كان ينشر مجلته المقتبس ثم انه عاد الى وطنه دمشق الشام واخذ ينشر فيها مجلته مع صحيفة يومية باسم المقتبس ايضا وقد اجتمعت به هناك لما عجت على دمشق في طريقى الى قسطنطينية وهو اليوم في دمشق .

ومن الخطباء الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار بمصر وهو عالم فاضل ومعدود في الكتاب الا ان اسلوبه في الكتابة هزيل معروق لا يسمن ولا يغنى من جوع وهو الى العام اقرب منه الى الفصاحة واللسن وقد شهدت خطبة له خطبها في قسطنطينية فرأيت فيه من معائب الخطيب انه ضئيل الصوت ولضوالة صوته كان يتشادق في كلامه تشادقا باردا جدا وفيه ايضا لغة خفيفة في حرف الراء وفيه لكنة عامية ايضا فانه

إذا قال كذا قال كذا وإذا قال ذلك قال ذلك وإذا قال نظرت قال
نظرت إلا أنه مكشّر جداً لا يعجز عن الأطالة وربما خرج عن أول
الكلام إلى ما لا يقتضيه المقام ولولا ذلك لحدت منه الأطالة .

ومن الخطباء الشيخ مصطفى الغلابي صاحب مجلة التبراس ببيروت
وهو معدود في العلماء والكتاب والشعراء أيضاً إلا أنه لا يجيد في شعره
كما يجيد في كتابته وله كتب ورسائل غير قليلة وقد اجتمعت به في بيروت إلا
أنى لم أشهد شيئا من خطبه وقد أخبرت عنه أنه مفوه يسيل غربا في الخطابة .
ومن خطباء العصر فيليكس فارس صاحب جريدة الاتحاد ببيروت
وهو ذو قدم راسخة في الأدب وهو خطيب وكاتب وشاعر لكنه في كتابته
أعلى منه في شعره وهو أيضاً يجيد الترجمة من الفرنسية إلى العربية وقد اجتمعت
به مرة في حاب فقرأ لي شعرا منشورا للشاعر الفرنسي فيكتور هوغو كان
قد ترجمه إلى العربية فأحسن فيه كل الإحسان وهو معدود في الخطباء المبرزين .
ومن الخطباء المبرزين في الخطابة الأديب الفاضل إسكندر العازار
وقد اجتمعت به في بيروت وهو من الخطباء المشهورين في تلك الديار
وهو إذا خطب يشوب كلامه ببعض الظرف واليؤزل وهو شاعر أيضاً .
ومن خطباء تلك الديار إلياس طراد العالم الفاضل وكذلك إبراهيم
الحوراني وأنطون شحير وأمين الريحاني وبشارة الخوري صاحب جريدة
البرق وداود مجاعص صاحب مجلة الحرية وغيرهم ممن لا أتذكر أسماءهم
الآن وهؤلاء كلهم من لبنان وكلهم خطباء وفيهم الشاعر المجيد كبشارة
الخوري والفيلسوف الحكيم أمين الريحاني والكاتب البارع كداود مجاعص .

المبحث السابع عشر

ف

ذكر بعض الخطب المشهورة

خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : انما الدنيا امل مخترم واجل

متقض وبلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله امرأ فكّر في امره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه بثس الجار الغنى يأخذ بما لا يعطيك من نفسه فان ابيت لم يعذرك . اياكم والبطة فانها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ومؤدية الى السقم وعليكم بالقصد في قوتكم فهو ابعد من السرف واصح للبدن واقوى على العبادة وان العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .

وله ايضا من خطبة في الحث على السعى قال :

لا يقعد احدكم عن طاب الرزق وهو بقول اللهم ارزقني وقد علم ان السماء لم تمطر ذهبا ولا فضة والله تعالى انما يرزق الناس بعضهم من بعض فقد قال تعالى فاذا قضيت الصلوة فانثروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون .

(خطبة لمعاوية بن ابي سفيان)

قال الجاحظ رواها شعيب بن صفوان وزاد فيها اليعطري وغيره قالوا لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له من بالباب قال نفر من قریش يتبايرون بموتك فقال ويحك ولم قال لا ادرى قال فوالله ما لهم بعدى الا الذى يسؤهم واذن للناس فدخلوا فحمد الله واثنى عليه واوجز ثم قال يا ايها الناس انا قد اصبحتنا في دهر عنود وزمن شديد يعد فيه الحسن مسيئا ويزاد فيه الظالم عتوا لا تنتفع بما علمناه ولا نسأل عما جهلناه ولا نتخوف قارعة حتى تحلبنا قائناس على اربعة اصناف منهم من لا يمنع من الفساد في الارض الامهانة نفسه وكلال حده ونفيسه وفرة ومنهم المصبات لسيفه المجاب بخيله ورجله والمعان بشره قد اشترط نفسه واوبق دينه لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه ولبث المتجر ان تراها لنفسك ثمنا ولمالك عند الله عوضا ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا فقد طامن من شخصه

وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف نفسه للامانة واتخذ
سترالله ذريعة للمعصية ومنهم من اقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه
واقطاع سببه فقصرت به الحال عن امله فتحلى باسم القناعة وتزين
بلباس الزهاد وليس من ذلك في مراح ولا مغدى وبقي رجال غش
ابصارهم ذكر المرجع وازاق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد نافر
وخائف منقمع وساكت مكعوم وداع مخاص وموجع ثكلان قد
اخلمهم التقية وشماهم الذلة فهم بحر اجاج انواهم صنامرة وقلوبهم
قرحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن
الذنيا في اعينكم اصغر من حثالة القرطة وقراضة الجلمين واتعظوا
بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم فارفضوها ذمية فانها قد
رفضت من كان اسف بها منكم .

قال الجاحظ وفي هذه الخطبة ضروب من العجب منها ان هذا الكلام
لا يشبه السبب الذي من اجله دعاهم معاوية ومنها ان هذا المذهب في تصنيف
الناس وفي الاخبار عنهم وعمامهم عليه من القهر والاذلال من التقية والخوف
اشبه بكلام علي وبمعانيه وبمحاله منه بحال معاوية ومنها انا لم نجد معاوية
في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب
العباد قال وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه انهى قلت اما انا فلا
ارى في هذه الخطبة شياً من العجب ذلك لان معاوية انما دعاهم واذن
لهم بالدخول لما سمع من انهم شامتون به يتباشرون بموته فاراد ان
يكلمهم بكلام الواعظ المقرع والزاجر الموبخ فسلك في كلامه مسلك
الزهاد جرياً على ما اقتضاه المقام وفي كل جملة من كلامه هذا تعريض بهم
كأهو ظاهر واما ان هذا الكلام اشبه بكلام علي وبمعانيه فقد قلنا ان
معاوية تعمد في هذا المقام التشبه بعلي وامثاله توصلنا الى تبكيت حاسديه
الشامتين دون ان يظهر لهم جزعا من الموت ولعمري ان هذا مما يدل
على دهاء معاوية وحسن تجلده .

(خطبة لعبدالله بن الاهتم عند عمر بن عبدالعزيز)

قال الجاحظ قال ابو الحسن عن يحيى بن سعيد عن ابن خربوز البكري عن خالد بن صفوان قال دخل عبدالله بن الاهتم على عمر بن عبدالعزيز مع العمامة فلم يفجأ عمر الا وهو مائل بين يديه يتكلم فحمد الله واشى عليه ثم قال اما بعد فان الله خالق الخلق غنيا عن طاعتهم آمنا لمعصيتهم والناس يومئذ في المنازل والرأى مختلفون والعرب بشر تلك المنازل اهل الوبر واهل المدر تحتاز دونهم طيبات الدنيا ورفاعة عيشتها ميتهم في النار وحيهم اعمى مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه فلما اراد الله ان ينشر فيهم رحمته بعث اليهم رسولا منهم عزيز عليه ما عنتم حريص عايكم بالمؤمنين رؤوف رحيم قام يمنهم ذلك ان جرحوه في جسمه ولقبوه في اسمه ومعه كتاب من الله لا يرحد الا بامر ولا ينزل الا باذنه واضطروه الى بطن غار فلما امر بالفرامة اصفر لامر الله لونه فافلج الله حجته واعلى كلمته واظهر دعوته ففارق الدنيا نقياً تقياً صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قام بعده ابوبكر رضي الله عنه فسلكت سنته واخذ بسبيله وارتدت العرب فلم يقبل منهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الذي كان قابلاً منهم فابتضى السيوف من اغمارها واوقد النيران من شعلها ثم ركب باهل الحق اهل الباطل فلم يبرح يفصل اوصالهم ويسقي الارض دماءهم حتى ادخلهم في الذي خرجوا عنه وقررهم بالذي نفروا منه وقد كان اصاب من مال الله بكرا يرتوى عليه وحبشية ترضع ولداله فرأى ذلك غصة عند موته في حلقه فادى ذلك الى الخليفة من بعده وبرىء اليهم منه وفارق الدنيا تقياً نقياً على منهاج صاحبه رضي الله تعالى عنه ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمصر الامصار وخلط الشدة باللين فحسر عن ذراعيه وشمر عن ساقيه واعد للامور اقرانها وللحرب آلتها فلما اصابه قن المغيرة بن شعبة امر

ابن عباس ليسأل الناس هل يثبتون قاتله فلما قيل له قن المغيرة استهل
بحمد الله ان لا يكون اصابه ذوحق في النقي فيستحل دمه بما استحل
من حقه وقد كان اصاب من مال الله بضعا وثمانين الفا فكسر بها رباعه
وكره بها كفالة اهله وولده فادى ذلك الى الخليفة من بعده وفارق الدنيا
تقيا نقياً على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنهما ثم انا والله ما اجتمعنا
بعدها الا على ظلع ثم انك يا عمر ابن الدنيا ولدتك ملوكها والقمة لك ثديها
فلما وليتها القيتها حيث القاها الله فالحمد لله الذي جلا بك حوبتها وكشف
بك كربتها امض ولا تلتفت فانه لا يغني من الحق شيئاً اقول قولى هذا
واستغفر الله لكم وللمؤمنين والمؤمنات .

قال ولما ان قال ثم انا والله ما اجتمعنا بعدها الا على ظلع سكت
الناس كلهم الا هشاماً فانه قال كذبت .

(خطبة امر بن عبد العزيز)

قال ابو الحسن حدثنا المغيرة بن مطرف عن شبيب بن صفوان عن ابيه
قال خطب عمر بن عبد العزيز بمخاضة خطبة لم يخطب بعدها حتى مات
رحمه الله . فحمد الله واتى عليه ثم قال ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثاً
ولم تتركوا سدى وان لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم فخاب وخسر من خرج
من رحمة الله التي وسعت كل شئ وحرم الجنة التي عرضها السموات
والارض واعلموا ان الامان غدا لمن خاف ربه وباع قليلاً بكثير وفانياً
بباق ألا ترون انكم فى اسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباكون
كذلك حتى تردوا الى خير الوارثين ثم اتم فى كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً
الى الله قد قضى نحبهم وبلغ اجلهم ثم تغيثونه فى صدع من الارض ثم تدعونهم
غير موسد ولا عمهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب
غنيا عما ترك فقيرا الى ما قدم وايهم الله انى لاقول لكم هذه المقالة وما
اعلم عند احد منكم من الذنوب اكثر مما عندى فاستغفر الله لى . ولكم

وما تبلغنا حاجة يتسع لها ما عندنا الاسد دناها ولا احد منكم الا وددت ان يده مع يدي ورحمى الذين يلوتنى حتى يستوى عيشنا وعيشكم وايم الله ان لو اردت غير هذا من عيش او غصارة لكان اللسان منى ناطقا ذلولا علما باسبابه لكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن مصيبته . ثم بكى فلتقى دموع عينيه بطرف رداؤه ثم نزل فلم ير على تلك الاعواد حتى قبضه الله .

(خطبة ابى حمزة الخارجى)

قال الحافظ دخل ابو حمزة الخارجى مكة وهو احد نساك الاباضية وخطبائهم واسمه يحيى بن المختار فصعد منبرها متوكئا على قوس له عربية فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يتأخر ولا يتقدم الا باذن الله وامره ووجه انزل الله له كتابا بين له فيه ما ياتى وما يتقى فلم يكن فى تلك من دينه ولا شبهة فى امره ، ثم قبضه الله اليه وقد علم المسلمون معالم دينهم وولى ابا بكر صلاتهم فولاه المسلمون امر دنياهم حين ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم امر دينهم فقاتل اهل الردة وعمل بالكتاب والسنة فمضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فساد بسيرة صاحبه وعمل بالكتاب والسنة وجبى الفى وفرض الاعطية وجمع الناس فى شهر رمضان وجلد فى الحمر ثمانين وغزا العدو فى بلادهم ومضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى عثمان بن عفان فسارست سنين بسيرة صاحبه وكان دونهما ثم سار فى الست الاواخر بما احبط به الاوائل ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى على بن ابى طالب فلم يبلغ من الحق قصدا ولم يرفع له منارا ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى معاوية بن ابى سفيان لعين رسول الله وابن لعينه اتخذ عباد الله خولا ومال الله دولا ودينه دغلا ثم مضى لسبيله فالعنوه لعنه الله . ثم ولى يزيد بن معاوية يزيد الخمر والفرود وزيد الفهود الفاسق فى بطنه المأبون فى فرجه . ثم اقتصرهم

خليفة خليفة فلما انتهى الى عمر بن عبد العزيز اعرض عنه ولم يذكره . ثم قال
ثم ولي يزيد بن عبد الملك الفاسق في بطنه المأبون في فرجه الذي لم يؤنس منه
رشد وقد قال الله تعالى في اموال اليتامى فان آنس منهم رستاد فادفعوا اليهم
اموالهم فامرامة محمد اعظم . يأكل الحرام ويشرب الخمر ويلبس الحلة
قومت بالف دينار قد ضربت فيها الابشار وبهتكت فيها الاستار واخذت
من غير حلها . حباة عن يمينه وسلامة عن يساره تغنيانه حتى اذا اخذ
الشراب منه كل مأخذ قد ثوبه ثم التفت الى احدهما فقال الا اظير . نعم
فطر الى لعنة الله وحريق ناره واليم عذابه . وامابنو امية ففرقة ضلالة
وبطشهم بطش جبرية يأخذون بالظنة ويقضون بالهوى ويقتلون على الغضب
ويحكمون بالشفاعة ويأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها في غير
اهلها وقدين الله اهلها فجعلهم ثمانية اصناف فقال انما الصدقات للفقراء
والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي
سبيل الله وابن السبيل فاقبل صنف ناسع ليس منها فاخذ كلها تلكم الفرقة
الحاكمة بغير ما انزل الله . واما هذه الشيع فشيعة ظاهرت بكتاب الله
واعلنت الفرية على الله لم يفارقوا الناس ببصر نافذ في الدين ولا بعلم
نافذ في القرآن ينقمون المعصية على اهلها ويعملون اذا ولوا بها يصرون
على الفتنة ولا يعرفون المخرج منها جفاة عن القرآن اتباع كهان يؤملون
الدول في بعث الموتى ويعتقدون الرجعة الى الدنيا قلوا دينهم رجلا لا ينظر
لهم قاتلهم الله انى يؤفكون . ثم اقبل على الحجاز فقال يا اهل الحجاز
أتعبرونني باصحابي وتزعمون انهم شباب وهل كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا شبابا اباؤ الله انى لعالم بتابعكم فيما يضركم في معادكم
ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركت الاخذ فوق ايديكم . شباب والله
مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر اعينهم ثقيلة الى الباطل ارجلهم
انضاء عبادة واطلاح سهر فنظر الله اليهم في جوف الليل منحنية
اصلامهم على اجزاء القرآن كلما مر احدهم بذكر آية من ذكر

الجنة بكى شوقا اليها واذا مر بآية من ذكر النار شفق شهقة كأن زفير جهنم بين اذنيه موصول كلا لهم بكلا لهم كلال النهار بكلال النهار قد اكلت الارض ركبهم وايديهم وانوفهم وجباههم واستقلوا ذلك في جنب الله حتى اذارأوا السهام قد فوقت والرماح قد اشرعت والسيوف قد انتضيت ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلف رجلاه على عنق فرسه وتخفضت بالدماء محاسن وجهه فاسرعت اليه سباع الارض وانحطت اليه طير السماء فكم من عين في مناقير طير طالما بكى صاحبها في جوف الليل بالسجود لله . ثم قال أوه أوه أوه ثم بكى ثم نزل .

(خطبة قطري بن الفجاءة)

وهي تتضمن وصف الدنيا ووصف سكان القبور وصفا بديعا قال الجاحظ صعد قطري بن الفجاءة منبر الازارقة وهو احد بني مازن ابن عمرو بن تميم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فاني احذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحيت بالعاجلة وحليت بالآمال وتزينت بالخرور لاتدوم حبرتها ولا تؤمن لجمعها غرارة ضرارة خوانة غدارة وحائلة زائلة ونافذة بائدة اكاله غواله بذلة نقالة لاتعدو اذا هي تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضا عنها ان تكون كما قال الله تعالى كء انزلناه من السماء فاخלט به نبات الارض فاصبح هشيا تذرؤه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا . مع ان امرا لم يكن منها في حبرة الا اعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله غيبة رخاء الا هطلت عليه مزنة بلاء وحرى اذا اصبحت له منتصرة ان تسمى له خاذلة متكررة وان جانب منها عذوب واحلولى امرت عليه جانب واوبى وان ات امرأ من غضارتها ورفاهيتها نعماء ارضته من نوائبها تبعاء ولم يمس امرؤ منها في جناح امن الا اصبغ منها على قوادم

خوف غمارة غرور ما فيها فان ما عليها لا خير في شيء من زادها الا التقوى
من اقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه
ويبكي عينه كم وائق بها قد افجته وذى طمأنينة اليها قد صرته
وذى اختيال فيها قد خدعته وكم من ذى ابهة بها قد صيرته حقيرا وذى
نخوة قد رده ذليلا وكم من ذى تاج قد كبته للدين والقم سلطانها دول
وغيتها رنق وعذبها اجاج وحلوها صبر وغذاؤها سهام واسبابها
رمام قطافها سلع حيا بعرض موت وصحيحها بعرض سقم
ومنيعها بعرض اهتضام . ما ليكها مسلوب وعزبها مغلوب وسليمها
منكوب وجامعها محروب مع ان وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع
والوقوف بين يدي الحكم المدل ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى
الذين احسنوا بالحسنى . ألتسم فى مساكن من كان اطول منكم اعمارا
واوضح منكم آثار واعد عديدا واكثف جنودا واعتد عتودا تعبدوا
للدنيا أى تعبد وآثروها أى ايثار وطمعوا عنها بالكرد والصغار فهل
يلغكم ان الدنيا سمحت لهم نفسا بفسدية او اغت غنم فيها قد اهلكتهم
بخطاب بل قد ادهقهم بالقوادح وضعفهم بالوائب وعقرتهم بالمصائب
وقد رأيتم تنكروها لمن زان لها واخذ اليها حين طعنوا عنها لفراق
الابد الى آخر المسند هل زودتهم الا الشقاء واحلهم الا الضنك او نورت
لهم الا الظلمة او اعقبهم الا الندامة أفهذه تؤثرون ام على هذه تحرصون
ام عليها تطمثون يقول الله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وهم فيها لا ينجسون اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا
النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون . فبئس الدار لمن اقام
فيها فاعلموا واتم تعلمون انكم تاركوها لابد فانما هي كما وصفها الله باللعب
واللهو وقد قال الله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتخذون مصانع لعلكم
تخلدون . وذكر الذين قالوا من اشد منا قوة ثم قال حملوا الى قبورهم

فلا يدعون ركبانا وانزلوا فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الضريح
اجنان ومن التراب اكلان ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يحيون
داعيا ولا يمنعون ضيما ان اخصبوا لم يفرحوا وان اقحطوا لم يقتطوا جمع
وهم آحاد وجيرة وهم ابعاد متادون لا يزورون ولا يزارون حلماء
قد ذهبوا اضغانهم وجهلاء قد ماتت احقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجي
دفعهم وكما قال الله تعالى قتلنا مساكينهم لم تسكن من بعدهم وكنا
نحن الوارثين استبدلوا بظهر الارض بطننا وبالسعة ضيقا وبالاهل غربة
وبالتور ظلمة فجاؤوها كفا فارقوها حفاة عراة فرادى غير ان ظعنوا
بأعمالهم الى الحياة الدائمة والى حلود الابد يقول الله تعالى كما بدأنا اول
خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين فاحذروا ما حذركم الله وانتفعوا
بمواظبه واعتصموا بحبله عصمنا الله واياكم بطاعته ورزقنا واياكم اداء حقه .

(خطبة لعبيد الله بن زياد بالبصرة)

قال الجاحظ صعد عبيد الله بن زياد المنبر بعد موت يزيد بن معاوية
وحيث بلغه ان سلمة بن ذؤيب اليربوعي قد جمع الجموع يريد خلعه فقال
يا اهل البصرة انسبوني فوالله ما مهاجر ابى الا اليكم وما مولدى الا
فيكم وما انا الا رجل منكم والله لقد وليكم ابى وما مقاتلتكم الا
اربعون الفا فبلغ بها ثمانين الفا وما ذريتكم الا ثمانون الفا وقد بلغ
بها عشرين ومائة الف واتم اوسع الناس بلادا واكثرهم جنودا وابعد
مقادا واغنى الناس عن الناس انظروا رجلا تولونه امركم يكف سفهاءكم
ويجبي لكم فيشكم ويقسمه فيما بينكم فانما انا رجل منكم . قال فلما ابوا
غيره قال انى اخاف ان يكون الذى يدعوكم الى تأميرى حداثة عهدكم بامرى .

(خطبة يزيد بن الوليد)

هو الخليفة الثانى عشر من بنى امية وهو الذى ولد فى الكعبة ولم

يولد في الكعبة خليفة غيره وامه من بنات يزدجرد بن كسرى وهو
الذى قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما رأى منه المنكر. قال
الجاحظ ولما قتل يزيد بن الوليد ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك
قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس والله ما خرجت أشرا
ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة في الملك وما بي أظري نفسي وأنا
لظلم لها ولقد خسرت أن لم يرحمني ربي ولكني خرجت غضبا لله ودينه
وداعيا إلى الله وسنة نبيه ما هدمت معالم الهدى واطفىء نور التقوى
وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة والراكب لكل بدعة مع أنه
والله ما كن يؤمن بيوم الحساب ولا يصدق بالتواب والعقاب وأنه لابن
عمي في النسب وكفى في الحسب فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره
وسأله أن لا يكلني إلى نفسي ودعوت إلى ذلك من أجابني من أهل
ولابتي حتى أراح الله منه العباد وطهر منه البلاد بحول الله وقوته لا بحولي
وقوتي أيها الناس إن لكم عليّ أن لا أضع حجرا على حجر ولا لبنة على
لبنة ولا أكرى نهرا ولا أكثر مالا ولا أعطيه زوجا ولا ولدا ولا أنقل
مالا من بلد إلى بلد حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم فإن
فضل فضل نقله إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوج إليه منه وإن لا أجركم
في ثغوركم فافتنكم وافتن أهليكم ولا أغلق بابي دونكم فإكل قوياتكم
ضعيفكم ولا أحمل على أهل أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم
واقطع نسلهم ولكم عندي أعطيتكم في كل سنة وارضاقكم في كل
شهر حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كادناهم فإذا أنا
وافيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المذاكرة والمكافأة وإن أنا
لم أوف لكم فلكم أن تخلصوني إلا أن تستيوني فإن أنا تبت قبلتم مني
وإن عرقتم أحدا يقوم مقامى ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل
ماء عطيتكم فاردتم أن تباعوه فانا أول من بايعه ودخل في طاعته أيها الناس
لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم -

قال الجاحظ فلما بويع مروان بن محمد نبشه وصابه قال وكانوا يقرؤن في الكتب يامبذرا للكنوز ياسجادا بالاسحار كانت ولايتك رحمة وعليهم حجة اخذوك فصلبوك .

(خطبة الحجاج بعد دبر الجاهم)

قال الجاحظ خذب الحجاج اهل العراق بعد دبر الجاهم فقال يا اهل العراق ان الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والمصب والمسامع والاطراف والاعضاء والشغاف ثم افضى الى الافحاح والاصباح ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرح فحشاكم نفاقا ونفاقا وانسعركم خلافا اخذتموه دايلا تابعونه وفائدا نطبعونه ومؤامرا تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربة وتعظكم وقعه او يحجركم اسلام او ينفعكم بيان ألستم اصحابي بالاهواز حيث رمم المنكر وسعينم بالغدر واستجمعتم الكفر وظنتم ان الله يخذل دينه وخلافته وانا ارميكم بطرفي واتم تتسللون لو اذا وتهزمون سراعا ثم بوم الزاوية وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وننازعكم ونخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم اذوايتم كالابل الشوارد الى اوطانها النوازع الى اعطانها لايسأل المرء عن اخيه ولا يلوى الشيخ على بنيه حتى عضكم السلاح وقصمكم الرماح . ثم بوم دبر الجاهم وما بوم دبر الجاهم به كانت المعارك والملاحم بضرب يربل الهام عن مقيله ويذهل الخليل من خيله يا اهل العراق الكفرات بعد الفجرات والغدرات بمد الحترات والنزوة بعد النزوات ان بعثكم الى انوركم غلتم وختم وان امنتم ارجفتم وان ختمتم نافقتم لاند كرون حسنة ولا تشكرون نعمة هل استخفكم ناكث او استغواكم غاو او استغفركم عاص او استصركم ظالم او استعضدكم خالع الا تبعتموه وآوتموه ونصرتهموه ورحبتموه . يا اهل العراق هل شغب ساعب او لعب ناعب او زفر زافر الا كنتم اتباعه وانصاره . يا اهل العراق ألم تنهكم المواعظ ألم تزجركم الوقائع . ثم التفت الى اهل الشام

فقال يا اهل الشام انما اتاكم كالظلم الراح عن فراخه ينق عنها المدر
ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب وبحرسها
من الذباب يا اهل الشام اتهم اجنة والرداء وانتم العدة والحذاء .

(خطبة اخرى للحجاج ايضا)

قال ابن العربي في محاضرة الابرار ومن خطب الحجاج مارويتنا من
حديث ابن ابي الدنيا قال حدثني محمد بن الحسين قال حدثنا خلف بن
تمم انبأنا ابورجاء الهروزي عن ابي بكر الهذلي قال رأيت الحجاج
يخطب على المنبر فسمعتة يقول ايها الناس انكم غدا موقوفون بين يدي الله
عز وجل ومسؤولون فليثق الله امرؤ ولينظر ما يعد لذلك الموقف فانه موقف
يخسر فيه المبطون ونذهل فيه العقول ويرجع الامر فيه الى الله اتجزى كل نفس
بما كسبت ان الله سريع الحساب بادروا آجالكم باعمالكم قبل ان تخترموا
دون آمالكم قال ثم بكى وانحب وهو على المنبر فرأيت دموعه تنحدر على لحية .
قلت ولاعجب من الحجاج ان يأمر الناس بالتقوى وهو على المنبر
وبدكرهم بيوم الحساب لان من عادة الامراء في ذلك الزمان ان يتكلموا
كهذا الكلام اذا صعدوا المنابر فالحجاج انما امر بالتقوى وهو على المنبر
جريا على عادتهم في خطبهم وقد ذكرنا لك فيما سبق ما قاله ابن ابي بردة
سليمان بن عبد الملك من ان الحجاج كان يصعد المنبر فيتكلم بكلام الاخيار
فاذا نزل عمل عمل القراغة . وانما العجب كل العجب منه انه يبكي حتى
تنحدر دموعه على لحية فان قلنا انه في قوله كاذب فماذا نقول في بكائه
ودموعه . هذا لعمرى في الفعال عجيب .

(خطبة اخرى لابي حمزة الخارجي المتقدم ذكره)

يؤرخ فيها اهل المدينة

قال اوصيكم بتقوى الله وطاعته والعمل بسنته وصلة الرحم وتعظيم

ما صغرت الجبابرة من حق الله وتصغير ما عظموا من الباطل وامانة
 ما حيوا من الجور واحياء ما اماتوا من الحقوق وان يطاع الله ويعصى
 العباد في طاعته فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . ندعو الى سنة الله
 والقسم بالسوية والعدل في الرعية انا والله ما خرجنا بطرا ولا لهوا
 ولا لدولة نخوض فيها ولا لثأر قد نيل منا ولكن لما رأينا ان الارض
 قد اظلمت ومعالم الجور قد ظهرت وكثر الادعاء في الدين وعمل بالهوى
 وعطلت الاحكام وقتل القائم بالقسط وعنف القائل بالحق سمعنا مناديا
 ينادى الى الحق والى طريق مستقيم فاجبنا داعي الله واقبلنا من قبائل
 شتى قليلين مستضعفين في الارض فأنا والله وآيدنا بنصره فاصبحنا
 بنعمته اخوانا وعلى الدين اعوانا . يا اهل المدينة اولكم خير اول وآخركم
 شر آخر انكم اطعمتم قراءكم وفقهاءكم فاختانوكم بتأويل الجاهلين واتحال
 المبطلين حتى اصبحتم عن الحق ناكين امواتا غير احياء وماتشعرون .
 يا اهل المدينة يا ابناء المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان
 ما اصح اصلكم واسقم فرءكم كان آباؤكم اهل اليقين واهل المعرفة
 بالدين والبصائر الساقدة والقلوب الواعية واتم اهل الضلالة والجهالة
 استعبدنكم الدنيا فاذا لتكم والاماني فاضلتكم فتح الله لكم باب الدين
 فافسدتموه واغلق عنكم باب الدنيا ففتحتهم سراع الى الفتنة بطاء عن
 السنة عمى عن البرهان صم عن العرفان عيى الطمع حافىء الجزع نعم
 ما ورثكم آباؤكم لو حفظتموه وبش ما تورثون ابناؤكم ان تمسكوا به نصر الله
 آباءكم على الحق وخذلكم على الباطل كان عدد آبائكم قليلا طيبا وعددكم
 كثير خيى اتبعتم الهوى فارداكم واللهم فاسهاكم تزجركم مواعظ الدين
 فلا تزددجرون وتعبركم فلا تعتبرون سألناكم عن ولايتكم هؤلاء فقلتم
 والله ما فيهم عادل اخذوا المال من غير حله فوضعوه في غير محله وجاروا
 في الحكم فحكموا بغير ما اتزل الله واستأثروا بفيثسا فجعلوه دولة بين
 الاغنياء منهم فقلنا لكم تعالوا الى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم وجاروا

في الحكم فحكموا بغير ما اتزل الله فقلتم لا تقوى على ذلك ووددنا انا اصبنا
من يكفينا فقلنا نحن نكفيكم ثم الله راع علينا وعليكم ان ظفرتنا لتعطين
كل ذي حق حقه فجتنا فقابلنا الرماح بصدورنا والسيوف بوجوهنا
فعرضتم لنا دونهم فقاتلتمونا فوالله لو قاتم لا نعرف الذي نقول ولا نعلمه
لكان اعذر مع انه لا عذر للجاهل ولكن ابي الله الا ان ينطق بالحق
على السنتكم ويأخذكم به في الآخرة .

(خطبة لواصل بن عطاء وهي خلو من الرء كما ترى)

قال الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي علا في دنوه
ودنا في علوه فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما
خاق ولم يخلقه على مثال سبق بل انشاء ابتداء وعدله اصطنا فاحسن
كل شيء خلقه وتم مشيئته واوضح حكمته فدل على الوهيته فسبحانه
لا معقب لحكمه ولا دافع لقضائه تواضع كل شيء لعظمته وذل كل
شيء لسلطانه ووسع كل شيء فضله لا يمزب عنه مثقال حبة وهو السميع
العليم واشهد ان لا اله الا الله وحده الها تقدست اسماؤه وعظمت
آلاؤه علا عن صفات كل مخلوق وتنزه عن شبيه كل مصنوع فلا تبلغه
الاولهام ولا تحيط به العقول ولا الافهام يعصى فيعلم ويدعى فيسمع
ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون واشهد شهادة
حق وقول صدق باخلاص نية وصحة طوية ان محمد بن عبدالله عبده
ونبيه وخالسته وصفيه ابتغى الى خلقه بالينة والهدى ودين الحق فبلغ
مالكته ونصح لامته وجاهد فيه سبيل الله لا تأخذه في الله لومة لائم ولا
يصدده عنه زعم زاعم ماضيا على سنته موفيا على قصده حتى اتاه اليقين
فصلى الله على محمد وعلى آل محمد افضل وازكى واتم وانمى واجل واعلى
صلاة صلاها على صفوة انبيائه وخالصة ملائكته واضاف ذلك انه

حميد مجيد اوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته والمجانسة
لمعصيته واحضكم على ما مذنيكم منه وبزائنكم لديه فان تقوى الله افضل
زاد واحسن عاقبة في مآل وذا ما يزينكم الحياة الدنيا بزينها وخذعها
وفوان لذاتها وشهوات آمالها فانها مناع قليل ومدة الى حين وكل شيء
منها زول فكم عابتم من اعاجيبها وكم نصبت لكم من خباياها واهلكت
من جنح البها واعتمد عليها اذ اقهم حلوا ومزجت لهم سما ابن الملوك
الذين بنوا المدن وسيدوا المصانع واوثقوا الابواب وكاثفوا الحجاب
واعبدوا الجياد وملكوا البلاد واستخدموا السلاسل قبضهم بمحملها
وطحنهم بكلكلها وعذبهم بآياتها وعاضهم من السعة خبثا ومن العزة ذلا
ومن الحياة قناء فسكنوا للاجود واكلمهم الدود واصبحوا لا تشاهد الا
مساكنهم ولا نجد الا معالمهم ولا نحس منهم ولا نسمع لهم نسا
فزودوا عافاك الله فان افضل الزاد الصوى واقوال الله يا اولى الالباب لعلكم
تفاحون .

المبحث الثامن عشر

(في بيان المنهج الذي يجب على من زاول الخطابة ان منهجه)
قد رابنا ان نختم هذه الرسالة بما ذكره الجاحظ من كلام لسرين
المعتمر في الخطابة والمنهج الذي انهجه اليها فنقول
قال الجاحظ مر بئر بن المعمر بابراهيم بن جالة بن مخرمه السكوني
الخطيب وهو يعلم فتياهم الخطابة فوقف بشر فظن ابراهيم انه انما وقف
ليستفيد او يكون رجلا من النظارة فقال بشر اضربوا عما قال صنيحا
واطبوا عنه كشحا ثم دفع اليهم صحيفة من نحيير وتثنية وكان اول ذلك
الكلام : خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابها اياك فان
قليل تلك الساعة اكرم جوهرها واشرف حسبا واحسن في الاسماع واحلى
في الصدور واسلم من فاحش الخطأ واجاب لكل عين وغرة من لفظ

شريف ومعنى بديع واعلم ان ذلك اجدى عليك مما يعطيك يومك
الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعاودة ومهما اخطاك
لم يخطئك ان يكون مقبولا قصدا وخفيفا على اللسان سهلا وكما خرج
من بذوعه ونجم من معدنه واياك والتوعر فان التوعر يسلمك الى التعبد
والتعبد هو الذي يستهلك معانيك ويشين الفاظك ومن اراعى معنى كريما
فليتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حصمها
ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من اجله الى ان تكون
اسوأ حالا منك قبل ان تلتبس اظهارها وترهن نفسك بملاستهما وقضاء
حقهما . وكن في ثلاث منازل فان اولى الثلاث ان يكون لفظك رسيما
عذبا وفحما سهلا ويكون معاك ظاهرا مكتوبا وقريبا معروفا اما عند
الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة ان كنت للعامة اردت
والمعنى ايسر يشرف بان يكون من معانى الخاصة وكذلك ايسر ينضع
بان يكون من معانى العامة وانما مدار السرف على الصواب واحرار
المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل منام من المثال . وكذلك اللفظ
العامى والخاصى فان امكنت ان تبلغ من بيان اسانك وبلاغة قلمك
ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك على ان تفهم العامة معانى الخاصة
وتكسوها الالفاظ الواسطة التى لا تلطف عن الدهاء ولا تجفو عن الاكفاء
فانت البلغ النام . فان كانت المنزلة الاولى لا توانيك ولا تعربك ولا
تسبح لك عند اول نظرك فى اول تكلتك وتجد اللفظة لا تقع موقعها
ولم تصر الى قرارها والى حقها من اماكنها المقسومة لها والثقافة لم تحل
فى مركزها وفى نصابها ولم نتصل بشكلها وكانت قلقة فى مكانها نافرة
من موضعها فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن والزول فى غير اوطانها
فانك اذا لم تتعاط قريض الشعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المشور
لم يعبك بترك ذلك احد وان انت تكلفت ذلك ولم تكن حاذقا مطبوعا ولا
محكما لسانك بصيرا بما عليك او مالك عابك من انت اقل عيا منه ورأى

من هو دونك انه فوقك فان ابتليت بان تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع في اول وهلة وتمضى عليك بعد اجالة الفكرة فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك او سواد ليلك وعاوله عند نشاطك وفراغ بالك فانك لاتعدم الاجابة والمواتاة ان كانت هناك طبيعة او جريت من الصناعة على عرق فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول اهمال فالمنزلة الثالثة ان تتحول من هذه الصناعة الى اشهى الصناعات اليك واخفها عليك فانك لم تشته ولم تنازع اليه الا وبينكما نسب والشيء لا يحسن الا الى ما يشاكله وان كانت المشاكلة قد تكون في طبقات لان النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع المحبة والشهوة فهكذا هذا .

قال بئر فلما قرئت على ابراهيم قال لي انا احوج الى هذا من هؤلاء الفتيان .

ومما يحسن ان يذكر في هذا الباب ما نقله الجاحظ ايضا عن اسحاق ابن حسان بن قوهة من انه قال لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع احد قط . سئل ما البلاغة فقال البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الاشارة ومنها ما يكون في الحديث ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل . فعمامة ما يكون من هذه الابواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة فاما الخطب بين السماطين وفي اصلاح ذات الين فالاكثار في غير خطل والاطالة في غير املال وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما ان خير ابيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته . قال الجاحظ كأنه يقول فرق بين صدر خطبة السكاح وبين صدر خطبة العبد وخطبة الصلح وخطبة

المواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على مجزئه فانه لاخير
في كلام لا يدل على معنائه ولا يشير الى مغزاك والى العمود الذى اليه
قصدت والغرض الذى اليه نزعته . قال فليله اى لابن المقفع فان مل
المستمع الاطالة التى ذكرت انها حق ذلك الموقف فقال اذا اعطيت كل
مقام حقه وقمت بالذى يجب من سياسة ذلك المقام وارضيت من يعرف
حقوق الكلام فلا تهتم لما قاله من رضا الحاسد والعدو فانه لا يرضيهما
شئ واما الجاهل فليست منه وليس منك ورضا جميع الناس شئ لا تناله
وقد كان يقال « رضا الناس شئ لا ينال » انتهى .

هذا ما اردنا جمعه وتلفيقه فى هذه الرسالة ونسأل الله تعالى ان

ينفع به طالبيه انه على ذلك قدير وبالإجابة جدير وقد

وقع الفراغ من تسويدها لاجدى وعشرين

ليلة خلت من شعبان سنة خمس

وثلاثين وثلاثمائة

بعد الالف

م م

م

فهرس مفصل للكتاب

صحيفة

٥ المبحث الأول في البيان وفيه ذكر اصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ . وفيه تعريف الخطبة والفرق بينها وبين الوصية . وفيه بيان ان العرب كانوا احوج الائم الى الخطابة وذلك من دواعي ارتقاؤهم فيها .

٧ المبحث الثاني في قوام الخطابة وآدابها وفيه بيان ان من لم يكن له طبع في الخطابة لا يكون خطيبا كما ان من لم يكن له طبع في الشعر لا يكون شاعرا .

١١ المبحث الثالث في محاسن الخطباء .

من محاسن الخطيب جهارة الصوت .

ومنها ان يكون سديد العارضة .

ومنها ان يكون كثير الريق .

ومنها ان يكون ذاهية حسن السمعت والبرزة جميل الصورة جليل

المنظر خلاقا سهلا بن هازون في ذلك .

١٤ المبحث الرابع في معاييب الخطيب .

فمن معاييب الخطيب ان يكون جلاجا .

ومنها ان يكون متما .

ومنها ان يكون فافا .

ومنها ان يكون النع وفيه بيان اللثة العامة الموجودة اليوم .

ومنها ان يكون ذا حبة .

ومنها ان يكون ذا حكمة .

ومنها ان يكون الف .

ومنها ان يكون هذارما .

صحيفه

ومنها سقوط بعض اسنانه دون الجميع :

ومنها ان يكون اسنى .

ومنها ان يعتريه البهر والارتعاش والعرق في أثناء الخطبة .

٥٢ المبحث الخامس في حاجة الخطيب الى الاساره . وفيه بيان لبعض

ماجرت بالعادة من صور الاساره في الكلام . وفيه بيان ما وقع

لابي شمر من الملاف في لزوم الانارة .

٣٥ المبحث السادس في المختصرة والعصا . وفيه بيان السيماء العربية وبيان

ان من عادتهم اتخاذ المختصر والامصى . وبيان ان الشبويه وقعت

على العرب هذه العادة .

٣٤ المبحث السابع في انواع الخطب عند العرب وهي عشرة

الاولى خطبة الجمعة .

الثانية خطبة العيد . وفيه بيان ان خطب التمداء والامراء

غير مقصورة على اجمع والاعياد . وفيه ذكر خطبتين الامم على

كرم الله وجهه .

٣٦ الثالثة خطبة الصباح .

٤١ الرابعة خطبة الحمالة وفيه بيان ان خطب الصباح غير خطب الحمالة .

وان من عادتهم الاطالة في مثل هذه الخطب

٣٧ الخامسة خطبة المواهب

٣٩ السادسة خطبة يوم الحنل . وفيه بيان ان خطب يوم الحنل غير

خطب الموسم وفيه ذكر خطبه لابي بكر الصديق رضي الله عنه

خطبها يوم السقيفة .

٤٥ السابعة خطبة بين السباطين وفيه ذكر خطبة لابي زهوان النملاني

عند سفيد بن مسام والى ارمينية .

٤١ الثامنة خطبة التأين وفيه ذكر خطبة لعائشة على قبر ابها رضي الله

عنهما وذكر خطبة لفرغانة بنت اوس على قبر الاحنف بن قيس

صحيفة

وذكر خطبة لعمر بن عبدالعزيز على قبر ابنه عبدالملك وذكر
خطبة لابي ذر الهمداني على قبر ابنه ذر وذكر خطبة لاعرابية
على قبر ابنها .

٤٣ التاسعة خطبة الموسم وفيه بيان ما كان للعرب من المواسم والاسواق
وان اسواقهم كانت كندية علمية ومجتمعات لغوية ادبية وانهم كانوا
يخطبون في الموسم على رواحلهم . وفيه ذكر خبر قس بن ساعدة
عند النبي صلى الله عليه وسلم . وفيه ذكر خطبة حجة الوداع وخطبة
قس بن ساعدة بالموسم . وذكر خطبة لابن عباس بالموسم .

٤٨ العاشرة خطبة النكاح . وفيه بيان ان من عادتهم ان يخطبوا وهم
قيام الا في خطبة النكاح وبيان ما لخطبة النكاح عندهم من الصعداء
وتوجيه ابن المقفع لقول عمر في ذلك

٥٢ المبحث الثامن فيما يلحق الخطيب من البتر والشوء عندهم . وفيه
ذكر خطبة زياد البترآء .

٥٦ المبحث التاسع في تمثيل الخطباء بالشعر وفيه ذكر خطبتين للحمجاج
انشد فيهما متمثلا

٥٩ المبحث العاشر في منزلة الخطيب والشاعر عند العرب

٦١ المبحث الحادي عشر في ان الخطيب قد يكون شاعرا ايضا وفيه بيان
ان الخطيب غير الين البليغ وان الانسان قد يكون ذا بلاغة وبيان
ولا يكون مع ذلك خطيبا وان الذين جمعوا الخطابة والشعر قليل .
فمنهم عمرو بن الاثم

ومنهم قس بن ساعدة الايادي .

ومنهم زيد بن جندب

ومنهم البعيث المجاشعي .

ومنهم الكميت بن زيد الاسدي .

ومنهم الطرماح بن حكيم .

صحيفه

ومنهم عمران بن حطان .

ومنهم نصر بن سيار .

ومنهم بشار بن برد .

ومنهم العتابي

ومنهم سهل بن هارون .

ومنهم ابراهيم السندي .

ومنهم عبدالله بن شبرمة .

ومنهم ابو الاسود الدثلي .

٧٢ المبحث الثاني عشر فيما يعرض للخطيب من الرتج والحصر اثناء الخطبة . وفيه ذكر بعض من اصابهم الحصر في الخطابة من الخطباء الاولين . وفيه بيان ان عروض الرتج والحصر غير معيب وان المعيب انما هو الى والخطل .

٧٥ المبحث الثالث عشر في اللحن وذكر من وقع لهم اللحن من البلغاء الايضاء وفيه بيان ان اللحن معيب بالخطابة مغل باآدابها وفيه ايراد اعتراض على جعل اللحن معيبا في الخطابة والجواب عليه .
٨١ المبحث الرابع عشر في تنخير اللفظ وفيه بيان ان لكل مقام مفعالا وانا اذا قلنا بوجوب تنخير اللفظ فليستنا نريد ان الخطيب يجب عليه ان يأتى بالكلام الجزل مطلقا .

٨٣ المبحث الخامس عشر في صعوبة موقف الخطيب وفيه بيان ان المقدم على الخطابة لا يخلو عن احدى مرتبتين .

٨٥ المبحث السادس عشر في ذكر بعض الخطباء وانسابهم واحوالهم فمنهم الخلفاء الراشدون ابوبكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم اجمعين .

ومن الخطباء الذين ذكرهم الجاحظ الفضل بن عيسى الرقاشي . وابنه عبدالصمد بن الفضل وعمه يزيد بن ابان وابوه وجده .

- ومنهم زبد بن علي بن الحسين .
ومنهم سعيد بن العاصي وابنه عمرو بن سعيد الملقب بالاشدق
وحفيده سعيد بن عمرو بن سعيد .
ومنهم سهيل بن عمرو الاعلم .
ومنهم ابو عمرو وابو سفيان ابا العلاء .
ومنهم خالد بن سلمة المخزومي وهو ذو الشفة ودغفل بن حنظلة .
ومنهم عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي العائني .
ومنهم عبدالله بن عباس .
ومنهم داود بن علي وهو من خطباء بني هاشم وكذلك سليمان بن
جعفر والى مكة .
ومنهم خالد بن صفوان الاهتمي وكذلك ابوه صفوان بن عبدالله
ابن الاهتم .
ومنهم حنظلة بن ضرار الضبي . وكذلك منحور بن غيلان من بني ضبة .
ومنهم قطري بن الفجاءة وهو من خطباء الخوارج .
ومنهم ابن صديقة الخارجي .
ومنهم الضحاک بن قيس وهو من ائمة الخوارج .
ومن خطباء الخوارج وعلمائهم نصر بن ملحان وعمران بن حطان
والمقطلي قاضي عسكر الازارقة .
ومن الخطباء معبد بن طوق الغبري .
ومن خطباء العرب سحبان وائل .
ومنهم ابو عمار الطائي خطيب مذحج .
ومنهم خويلد بن عمرو العسراء خطيب يوم الفجار .
ومنهم كعب بن اوى .
ومنهم مرة بن فهم التليد .

ومنهم شبيب بن سبية بن عبدالله بن عبدالله بن الاهتم .

ومنهم جعفر بن يحيى بن خالد .

ومنهم ثمامة بن اشرس .

ومنهم ذرعة بن ضمرة من بني هلال بن عامر .

ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي .

ومنهم واصل بن عطاء المقاب بالقرال .

ومن خطباء هذا العصر عبدالعزير التونسي .

ومنهم الشيخ عبدالعزير ساويش صاحب مجلة الهداية .

ومنهم الامير سكيب ارسلان .

ومنهم الشيخ صالح الشريف التونسي .

ومنهم الشيخ اسعد سنقي .

ومنهم محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس بالشام .

ومنهم الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار بمصر .

ومنهم الشيخ مصطفى الغلاييني صاحب مجلة النبراس ببيروت .

ومنهم فياكس فارس صاحب حريدة الاتحاد ببيروت .

ومنهم اسكندر العازار .

ومنهم الياس طراد وابراهيم الحوراني وانطون سحير وامين

الريحان وبشارة الحوري صاحب جريدة البرق وداود مجاعص

صاحب جريدة الحرية .

١٢٥ المبحث السابع عشر في ذكر بعض الخطب المشهورة .

خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

خطبة لمعاوية بن ابي سفيان وقد اظهر الجاحظ العجب من نسبة

هذه الخطبة الى معاوية وقد تعقبنا الجاحظ في ذلك .

خطبة لعبدالله بن الاهتم عند عمر بن عبدالعزير .

خطبة لعمر بن عبدالعزير وهي آخر خطبة له .

خطبة لابی حمزة الحارثى .

خطبة لقطرى بن الفجاءة وهى تتضمن وصف الدنيا ووصف سكان القبور وصفا بديعا .

خطبة لعبدالله بن زياد بالبصرة .

خطبة لعبدالله بن زياد بالبصرة

خطبة ليزيد بن الوليد وهى التى خطبها عقب قتله ابن عمه الوليد بن يزيد وهى خطبة بديعة فى بابها قد رسم فيها يزيد للامة خطته التى يجرى عليها فى خلافته .

خطبة للحجاج بعد دبر الجماجم .

خطبة اخرى للحجاج ايضا . وقد اظهرنا من هذه الخطبة العجب كما اظهر الجاحظ العجب من خطبة معاوية .

خطبة اخرى لابی حمزة الحارثى يوضح فيها اهل المدينة .

خطبة لواصل بن عطاء وهى خالية من الرأى .

المبحث الثامن عشر فى المنهج الذى يجب على من زاول الخطابة ان يتبناه وفيه كلام بشر بن المعتمر فى تعليم الخطابة .

جدول

يتضمن اصلاح ما في الكتاب من الاغلاط

صحيحه	سطر	خطأ	صواب
٣	١	حمد لله	حمداً لله
٥	١٠	القائل	القائل
٦	١٥	قاعدهم	قاعدهم
٩	٢٢	فيما يأتي	فيما يأتي
١٠	٩	اذا حقفته	اذا حقفته
١٢	٢	صاعنا	صافنا
١٤	١٣	وسأني	وسأتي
١٨	١٤	فادرون	فادرون
١٩	٦	يزبد	يزبد
٢٢	١٨	الصغير	الصغير
٢٦	١١	الميم	المتيم
٢٦	٢٠	القب	القلب
٣٨	١٤	مفاتيح	مفاتيح
٣٨	١٥	لا يعنى عفتك	لا يعنى عك
٥١	٩	انفة	انفه
٥١	١٥	امثك	امتك
٥٣	٥	لم توشخ	لم توشح
٥٤	١٩	نقبناه	نقبنا
٥٦	١١	ومنها	منها
٥٧	١٨	ووقفك	ووفقك
٦٤	٥	ققر	ققر
٦٥	١٢	الصغريه	الصغريه

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
قلبك	قلبك	٦	٦٦
الأكيمه	الأكيمه	١٤	٦٨
يستعصى	يستعصى	١١	٧٢
فلما	لما	٢٤	٧٣
يرزق	ق	٢٤	٧٣
قاتها	قلنها	٢	٧٥
قفائها	قعاها	١٦	٧٥
والعجب	.	٥	٧٦
قال	قال	١١	٧٦
فاخلقتكم	فاخلعتكم	٧	٧٧
ويقرب	ويقرب	٢٣	٨٠
القيح	الفيح	٧	٨٢
الفاترة	العارة	٢٢	٨٢
افلان	لعلان	٢٥	٨٢
ماتصنع	ماتصع	١	٨٦
وابوه	وبوه	١٢	٨٦
قتزل	قتزل	١٣	٨٦
عليهم	عليهم	٩	٨٧
أفاتم	أفاتم	١٧	٨٧
الغفارى	الغعارى	٤	٩٠
والزبرقان	والزبرقان	١٥	٩٠
ولقد	ولعد	١٩	٩٠
فسؤتى	فسؤتى	١٦	٩١
المتحدثينا	المنحدثينا	١٩	٩١

صواب	خطأ	سطر	صفحة
ومن قال	ومن قال	١٠	٩٤
حتى	حتى	١١	٩٦
لا تراني	لا تراني	٢١	٩٦
خطيا	خطيا	٧	٩٩
أن	أبن	١١	٩٩
جذام	جزام	٢٠	١٠٠
اطأها	لطلها	١٢	١٠١
لخرقها	خرقها	١٢	١٠١
قام	قام	١١	١٠٣
اشربا	اشربا	١٧	١٠٤
قنالا	قنالا	٨	١٠٦
بانة	بله	١٨	١٠٨
جلدة ما بين عيني	ما بين عيني	١٣	١١١

